حكاية السيدة داني

رواية

ذياب فهد الطائي

هل يستحق أن يعاش ما لايمكن أن يكتب؟

غاستون باشيلار....الماء والاحلام

الفصل الأول

حين دخلت كافيتريا محطة برلين ، كنت متعبا وأشعر بجفاف في فمي ،توجهت الى حاجز المبيعات وطلبت كوبا كبيرا من القهوة
جلست الى أول منضدة خالية ،قالت امرأة ، هل تسمح بالجلوس ...تابعت ...أظن أن الكراسي غير مشغولة ، أومأت برأسي موافقا ...قالت المرأة ... الشباب يمرحون ! لم انتبه لدخول مجموعة من الشباب يتحدثون بصخب ويضحكون بمرح طاغ
قلت :نعم
قالت :أرجو أن تعمل معي معروفا ...سأترك حقيبتي لأشتري القهوة وسندويج الدجاج ..أشعر بجوع مضن
قلت :لابأس
حين عادت ، كانت تبتسم بامتنان ، كانت ابتسمتها معبرة،فيما عبرت عينيها لمحة رضى،اعتدلت في جلستها ورمقتني بنظرة سريعة ومتفحصة
-أنت من الشرق الأوسط ...أو ربما من أمريكا اللاتينية
-لماذا فكرت بهذا
-أنت اذا من الشرق الأوسط
-صحيح ولكن لماذا هذا الجزم ؟
- حيث يكون الحديث سؤالا ، هي صفة للعرب على وجه الخصوص ....عملت في فنزويلا وفي دبي التي أدهشتني فعلا ، كيف تسنى لهم بناء هذه المدينة العظيمة ببضع سنوات ؟ لابد أن وراء كل هذا البناء عقلية جبارة إستطاعت أن تحول كثبان الرمال، وبتسارع مذهل الى مدينة تسابق المدن الكبرى في العالم ، والأكثر إدهاشا أن يتحول السكان البدو الى أشخاص منضبطين ومتحضرين ، ذهبت لأعمل بها في عام 1986 حيث رتبت لي صديقتي ميشيلا العمل في مستشفى خاص...نحن على الخط !!
مدت يدها بشيء من المودة ،صافحتها
-إسمي داني فان بورخ ....الاصدقاء البعيدون يسموني السيدة فان بروخ ، أما القريبون ...ديدي
ولكن الجميع متفقون على أني أتحدث كثيرا ،خصوصا عن تاريخ حياتي الطويل ...هل تتضايق؟
-لا... فأنا أحرص على الإستماع لقصص الاخرين بحكم عملي ككاتب
- حقا ،وماذا تكتب في العادة ؟
- الرواية وأحينا قصصا قصيرة
- رائع ...أعتقد أن تجربتي الطويلة ربما تساعدك على كتابة رواية ...فأنا الان في الثالثة والثمانين
قاطعتها : ولكن مايبدو عليك مغاير

ابتسمت :شكرا ...مجاملة حلوة ... ولكن ما لدي قد يستغرق بضع ساعات ونحن مغادران ربما الى جهتين مختلفتين ...أنا ذاهبة الى مدينة أرنهم في هولندا وأنت ؟

- الى دوتنخم وهي مجاورة لأرنهم
- رائع فنحن نستقل ذات القطار...ولكن تذكرتي في الاولى
- -أنا ايضا في الأولى
- فرصة نادرة ...يبدو أن القدر رتب لنا هذا اللقاء ...أعطني تذكرتك لأقوم بحجز مقاعد متجاورة ..صدقني ستكون رحلة ممتعة

حين عادت كانت ابتسامتها عريضة وفي عينيها ألق مشرق

ولدت في عام 1932 في أرنهم وكان والدي يعمل في ورشة ميكانيكية قريبة ..أما والدتي فقد كانت تعمل في رياض الأطفال ...

حين احتل الألمان هولندا في عام 1940 ،تغير كل شيء في حياتنا ...إنقطعت أمي عن العمل ،وأصبح أبي عاطلا بعد أن أغلقت الورشة الميكانيكية ...في الثانية عشر من عمري ، قتل أبي وهو يشارك القوات البريطانية في هجوم أيلول عام 1944 لتحريرجسر أرنهم ..كان عضوا في حركة المقاومة الهولندية ....وكان شتاء ذات العام قارص البرد مع شحة في المواد الغذائية .. بسبب توقف حركة القطارات في هولندا أثر إضراب عمال السكك الحديد احتجاجا على قيام السلطات النازية البدء بنقل اليهود الى معسكرات الإعتقال ، وكان من جراء الاضراب توقف نقل المواد الغذائية.

كنت أقضم الخبز اليابس مع الشاي الخالي من السكر وأتدثر بكل الملابس المتوفرة تفاديا من البرد،كنت أرى أمي ترتجف وهي تحظنني ليلا.

كنت قد أنهيت الروضة وفي طريقي الى الصف الثاني في المدرسة الابتدائية، لم تفتح المدارس وتأخرت سنة ...كانت المعونات التي تتدفق على هولندا ، قد حسنت من وضعنا بعض الشيء ولكن المجاعة كانت شاملة ،لم أجد حتى ثمن شراء المشط لأسرح شعري ...كان المشط القديم قد كسر وأنا أرغمه على المرور بشعري الطويل الذي كنت أعتز به ، قالت أمي سينتهي كل شيء قريبا ،سيخرج النازيون من أوربا وسنعود للحياة ثانية ، رغم أنها كانت تتكلم بثقة دون ان يرتجف صوتها ،إلا أني كنت ألمح كمية الحزن التي تترسب في أعماقها وتطفو في عينيها اللتين بلون الفيروز.....لم نذهب مع الاخرين الى المطبخ المركزي الذي كان يقدم بعض الطعام ،فقد كان بعيدا عن منزلنا ،ولكني كنت أقف في الطابور عند توزيع حساء الخضار مساء في بداية الشارع وانا ارتجف من البرد وأحرص على ألا أفقد البطاقة الغذائية التي تسمح لي باستلام الحساء .

حين طرد الألمان من هولندا ، كنت قد إنتقلت الى المدرسة المتوسطة ،بكت امي كثيرا لأنها تذكرت أبي ، ضمتني الى صدرها وقالت
-أنا أعيش من أجلك
عادت الى عملها ثانية وحصلنا على معونة مباشرة من القوات البريطانية ، إعادة تأثيث البيت وشراء بعض اللوازم الكمالية ،دراجة هوائية جديدة أذهب بها الى المدرسة وراديو ومكواة ، وأعدنا تشغيل الهاتف وجهاز تلفاز صغير.

أصبح صوتها جافا وكأنه صدى من بعيد ،فيما لاحت بعينيها ومضات تعبر عن شرود وراء ذكريات مرة.

-أه نسيت ان اخبرك أني بدأت أتحول من صبية كانت ما تنفك تقضم أظافرها كلما أسمعها صبي في المدرسة كلمة إطراء ، الى فتاة ،عبرت مساحة التوازن بين الصبية والفتاة بسرعة ...كنت طويلة كما نحن الهولنديات ،بشعر أشقر ينسدل على كتفي ، وبعينين يكمن في عمق فيروزهما لمعان لا يثبت على لون أو توهج محدد ،كان ذلك اللمعان يعكس إبتسامة تشع فوق وجنتي حينما أكون سعيدة،أما حين لا يعجبني الحديث أو الموقف فإن اللمعان يصبح معتما ...كانت ابتسامتي دائمة التأرجح فوق شفتي ، قال لي أحد الطلبة في معهد التمريض الذي التحقت به ،إن ابتسامتي تغرد كطائر فرح .

أمي ايضا كانت تعبّر عن سعادتها قائلة :بودي ان تظل هذه الابتسامة حتى أفارق الحياة .

في معهد التمريض العالي كنت أشعر أني عصفورة نزقة لا تستقر على غصن لتكمل أغنيتها ، أسمع كلمات الإعجاب من زملائي وأشعر بغيرة الطالبات معي، قالت زميلتي في السكن :لا أجدك متعلقة باحد ؟
-ولماذا؟
-حسنا ...انه امر يتعلق بالشباب وبإنوثتنا
-ليس بعد
لم ترد وتشاغلت بالنظر الى كتاب (الإسعافات الأولية)
قالت أمي ألا تذهبين معي غدا الى الكنيسة
كانت أمي كاثوليكية محافظة وقد استمرت على حضور قداس الأحد أكثر من خمسين عاما ، وكان أبي بروتستانيا ، ولكنه لم يحضر أي قداس ،كان ليبراليا مع ميل الى اليسار ، أما أنا فقد توقفت عن الذهاب للكنيسة منذ انتقلت الى الدراسة

المتوسطة ، في داخلي كان نزوع للحرية ،ولم تشغلني القضايا الروحية ولهذا – أعترف –أني كنت بعيدة عن الإيمان
في الصف الثاني في المعهد شعرت أولا بانجذاب هادئ ولكنه واضح المعالم نحو مدرس مادة (علم نفس الطفل)
كان شابا في الثلاثينات يتصرف بعفوية ويتحدث معنا كصديق ،كنا جميعا نحرص على حضور درسه فهو يتسم بالبساطة والوضوح، مع استعمال الأمثلة وقصص لا نعرف أهي من ابتكاراته ام قرأها في كتاب ما
قال –داني ...لقد لحظت أنك مولعة بالتفاصيل
كانت في يده ورقة الامتحان ..
- ليس خطأ...فانت لن تغفلي الإجابة الصحيحة....ولكن مثل هذا الأمر قد يزيد من احتمال الوقوع في أخطاء لا مبرر لها
صمت برهة ثم تابع
-أرجو أن توافيني الى غرفة الأساتذة

شعرت أولا بشيء من الارتباك ،التفتّ الى زميلتي في السكن التي كانت تقف الى يميني غمزت بإتسامة سريعة ، تفتحت معها كل المساحات في وجهها ،وبدت ملامحها الدقيقة أكبر من حجمها
-حسنا دكتور في الفرصة القادمة
قالت زميلتي :–أنت على أول الطريق الدكتور بيتر، فلاح ،لهذا فهو يتحدث على نحو مباشر ، لن يسمعك كلمات رقيقة أو مجاملة إلا بعد أن تتوطد العلاقة !!
- لن أستغني عن تجاربك العريضة
-بالخدمة ... فقط ضعيني في التطورات
- بالتأكيد
شعرت بأني قد تجاوزت مرحلة الارتباك ، وأني مستعدة لمقابلة بيتر
كانت غرفة الاساتذة واسعة ،تصطف طاولات متباعدة بعض الشيء على الجانبين ، وخلفها كراس جلدية متحركة ، فوق الطاولات كتب ودفاتر وأوراق بيضاء وفي الوسط الة كاتبة صغيرة.

كان الدكتور بيتر يجلس الى طاولته المرصوفة حد الشباك العريض المطل على حديقة المعهد الأمامية
-أهلا
وقف مرحبا
-يمكنك الجلوس
أمام الطاولة كان كرسيان من الخشب .
-ليس بإمكاني أن اطلب لك شيئا ...المفروض انك طالبة ولست ضيفة

- نعم
-من الواضح أنك تقرئين كثيرا ولكن دون تحديد
-لم أفهم
-من اجوبتك بدا لي أنك واسعة الاطلاع ولكن دون تعمق في مواضيع قراءتك
- ربما
-هل كنت تختارين المواد التي تقرئيها
-في المتوسطة كنت أقرأ لفافات الصحف التي كانت تجلب بها أمي المشتريات من البقالة ،في حينها لم تكن أكياس البلاستك منتشرة ،وأصبحت تلك القراءة عادة لدي ، وحين إنتبهت أمي الى ذلك أصبحت تحرص أن تطلب من البقال لف حاجياتها بصفحة كاملة ،كان المكتوب في الصفحات متنوعا ولكنه في معظمه عن معاناة الهولنديين في أعقاب الحرب .
وفي الثانوية بدأت أرتاد مكتبة المدرسة ولكني لم أستطع أن أقرأ كتابا في الامور العلمية حتى نهايته ، ربما إدمان قراءة اللفافات كون لدي عادة القراءة السهلة والسريعة ، لهذا تحولت الى قراءة الروايات
-جميل ... والان
-الوقت لايكفي ...مراجعة الدروس وحضور الدروس العملية وساعات المشاهدة في المستشفيات لاتترك وقتا لقراءة إضافية

حين طلبت الأذن بالمغادرة ، وقف ليصافحني
-أرجو أن نلتقي ثانية
-نعم
امام الباب كانت زميلتي تقف
-ماذا جرى ... كان اللقاء قصيرا
-فلاّح
ضحكنا ،ضغطت على كفي بمواساة
-ربما
-نعم ربما

فكرت أن الحياة دائرة تتقاطع توجهات الناس داخلها والطريقة الوحيدة لأن يغادر أحدهم محيطها هو الموت ...هكذا غادر أبي الحياة حتى دونما قبر أو قنينة رماد، نحتفظ بها أو نذروها مع رياح الصباح فوق نهر الراين المتدفق دائما ، والذي لم تستطع القوات النازية من ايقافه أو تحويله.
قالت أمي :لاأراك مع صديق
قلت :سيأتي الصديق
قالت :أود أن أراك مستقرة عاطفيا

قلت :ماذا !! هل تلحظين عليّ شيئا لا أعرفه؟
صمتت ، ومدت يدها الى علبة الدواء .

في درس علم نفس الطفل ، تطلع الجميع نحوي حينما دخل الدكتور بيتر، المعاهد والجامعات وسط ناقل للإشاعة ، كانت زميلتي في السكن تحاول أن تبدو لامبالية، بعد إنتهاء الدرس .تعمد الدكتور بيتر التأخر
-هل تقبلين دعوتي على القهوة ، في غرفة الأساتذة لم أستطع من تضييفك
قلت :لاباس
قال:إنتظريني عند البوابة الخارجية .

أخذ دراجته الهوائية وتبعته ، في نهاية الكورنيش كانت (كازينو)صغيرة ولكنها أنيقة واجهتها الزجاجية تطل على الراين ، طلب القهوة دون أن يسألني
-نحن وحدنا الان وكنت أنتظر هذه الفرصة فأنت فتاة مميزة ، لاأعني أنك جميلة فقط،وأنك مبتسمة كربيع معرش بالتولب ولكن لأنك الوحيدة التي تقرئين

فكرت الى ماذا سيقودنا مثل هذا الحديث
صمت وتطلع نحوي –لون شعرك غريب
-كيف !
-هل لحظت انه بين الاشقر ولون آخر ..
-هذا بسبب صالون الحلاقة
صمت ثانية وكأنه أسقط في يده .

قال :لدي حصان إسباني ، حينما أعود الى بوكسمير حيث البيت والمزرعة ، يهرول نحوي فور سماعه صوتي .لبعض الحيوانات حاسة غريزية ،هل تعلمين مثلا أن الخيول تتميز بسمع مرهف وقدرة خارقة في التعرف على الأصوات حتى وإن كانت بعيدة ، وللحصان قدرة على السمع أكثر مما لدينا فيشعر بالخطر الذي لا ندركه إذ أنه يسمع ذبذبات الصوت التي لا يمكننا الإحساس بها ، وإن قدرته على تحريك الأذنين وتوجيههما نحو مصدر الصوت تساعده كذلك على التقاط الصوت من أي جهة .
شعرت بأن الاستاذ بيتر سيتحول الى محاضر
قلت :الراين وهو يتدفق على هذا النحو المهيب يثير في نفسي إعتزازا يتملكني تماما ، أنا استطيع أن أعبره وهو في عنفوانه ولكني لا أحسن ركوب الخيل
قال –في عطلة نهاية الأسبوع سنذهب الى مزرعتنا وستجدين أنك ستتحولين من ظهر النهر الى ظهر الحصان
قلت : وتبقى أمي وحدها في العطلة التي تنتظرني فيها !
قال : لقد تجاوزت الثامنة عشر وعليها أن تتعود ذلك.

التقت نظراتنا في تشابك حرك في نفسي احساسا لذيذا
قلت: حسنا
قالت أمي : ربما لم تفكري أنك ستبيتين ليلتين مع عائلة غريبة
-فكرت ولكني لا أجد ما يحرج....فأنا ضيفة إبنهم !
- ليس بمقدوري أن أمنعك ، ولكني أشدد أن تعتني بنفسك
فهمت ما ترمي اليه ، علي أن لا أكون معه في غرفة نوم واحدة !.

كانت زميلتي في السكن توشوش في أذني ، كيف ستكتشفين أنوثتك دون أن تنفردي برجل على سرير واحد!

نظرت داني نحوي بتساؤل فيما توقف القطار في محطة لم اتبين اسمها
-هل يبدو هذا غريبا
-لا فنحن في اوربا ....لقد سمعت الكثير عن هذا
-ولكن فكر أني اتحدث عن أوربا في عام 1951 حينها لم تكن الثورة الجنسية قد إجتاحت البلدان التي خلفتها الحرب العالمية ، تناضل من أجل ان تنهض ثانية، والناس مشغولون في العمل على تناسي الحرب .
- تعلمين أن طلائع تلك الثورة بدأت قبل ذلك
- نعم ولكن لم تحظ بقبول واسع حتى نهاية الستينيات من القرن العشرين

طلبت من النادل الذي يقوم بالخدمة قهوة مركزة ، وحين لمحت استغرابي
قالت:مثل هذا الحديث يحتاج الى بن نقي وبرازيلي ومركز ....نحن ندخل في مساحة جديدة من الحديث ..هل قرأت رواية (يوليسيس) لجيمس جويس ...هذا بالضبط ما أقصده...
صمتت لبرهة وهي تتطلع عبر زجاج النافذة الى الأشجار التي تمرق بسرعة ، ثم تابعت
-هل زرت مدينة بوكسمير ؟ أعتقد أنك ستستمتع برؤية مزارع اقرب الى الاقطاعيات ، وقصور كأنها من القرون الوسطى بطراز بنايتها ومعمارها .
والدا بيتر كانا جزءا من المكان بعراقته وجذوره التاريخية ،يتحركان ببطء وبحذر ويتفحصان الاخرين بنظرات فاحصة ولكنها مهذبة .

المدخل يمتد لحوالي الثلاثين مترا وعلى الجانبين مساحات كبيرة يغطيها العشب وعلى السياج شريط من أشجار عملاقة مختلفة ولكن أغلبها كان البتولا والسفندان وانواع مهجنة من الحور ومجموعة من اشجار البلوط ...كانت الاشجار معتنى بها على نحو

بدت نسقا جميلا من الخضرة النضرة ، فيما كانت سيقانها تشي بعمرها الذي ربما زاد عن المئة عام ،قال بيتر أن احد اجداده الأوائل هو من قام بزراعة كل تلك الأشجار وبقيت كما هي طوال السنين
المزرعة (الإقطاعية) كانت تدار من قبل ثلاثة عمال يستخدمون معدات حديثة ،وهي لا تهدف الى إنتاج ثمار للسوق، وثروة العائلة في قطيع من الأبقار الهولندية ،خصص لها بناء مجاورا يدار أيضا ،بوسائل حديثة ....كان والدي يقول لزملائه وهم يناقشون مستقبل النظام الرأسمالي في العالم ...لاتفرحوا ...الرأسمالية تكيف نفسها لأنها باختصار ليست فكرا نظريا.....كان أبي معجبا بروزا لوكسمبرغ أكثر من اعجابه بمنظّري الحزب الشيوعي الهولندي
قال بيتر:تم تخصيص غرفة لك في الطابق العلوى
حين ذهبت لأبدل ملابسي قالت مرافقتي الشابة :الغرفة تطل على المزرعة ، ومنظرها صباحا بالغ الروعة مع أصوات الطيور التي تستيقظ مبكرا ...أرجو ألا يضايقك ذلك؟ - لا فانا استيقظ مبكرة في العادة
-الغرفة المقابلة هي غرفة السيد بيتر ، لم يغيرها كما علمت منذ أصبح في السادسة من عمرة
عبرت وجهها المكتنز ابتسامة مواربة
في الصالة ، كانت العائلة تستعد لشرب القهوة ...
قال بيتر :داني اكثر طلبتي اهتماما بالدروس ، كما أنها قارئة جيدة
هزت الأم رأسها ، أما الأب فقد علق:لدينا مكتبة كبيرة ، وهي جزء من تراث العائلة، تجدين فيها كتبا متنوعة وبلغات مختلفة .
قال بيتر:لنخرج الى المزرعة قبل ان يبرد الجو
كانت روائح منعشة مختلطة تنتشر في المزرعة ، والوان الزهور المتنوعة عند امتداد السياج المرتفع تبعث في النفس قناعة مطلقة بالراحة
حين وصلنا الى إسطبل الخيول ، كان حصانا رشيقا بني اللون بطرّة بيضاء على جبهته، يهمهم بصوت مرتفع ويهز رأسه بترحيب
قال بيتر :حصاني العزيز بيو
ضحكت :ولماذا الإسم الفرنسي
التفت نحوي متسائلا :هل تجيدين الفرنسية؟
قلت:الى حد ما
-ألا تجدينه أنيقا في شكله وفي سلوكه
-أه نعم وهو اقرب الى صاحبه
قال ضاحكا :شكرا
خرج الحصان الذي كان يرمقني بنظرات طويلة متأنية ، ربما ليعرف علاقتي بصاحبه، وحين مددت يدي بتردد لملامسة عنقه رفض
ربت عليه بيتر وحدثه بهدوء عني

طلب بيتر أن ألامس رقبته ، وحين فعلت ،أحنى رأسه وكأنه يحييني وهمهم
وقفنا في وسط المزرعة ، قال بيتر :سنبدأ الدرس الاول
حين صعدت على ظهر الحصان داخلني شعور بأني أكثر قوة وداعبت مشاعري خيلاء جعلتني انتصب في جلستي
قال بيتر :عليك أن تسترخي
نظر الحصان الى بيتر مستغربا ، ربت بيتر على رقبته وقال:لاعليك إنها صديقة وعليك أن تتفهم هذا ، ستكون هادئا ورقيقا ...ألآ ترى إنها فتاة جميلة .....لا... لا لن تكون مثل إنجلينا
قاد بيتر الحصان الذي بدا متراخيا في مسيره ....بدأ بيتر يسرع الخطى ثم بدأ يهرول والحصان يمشي خببا ....تمسكي برفق باللجام ، قال بيتر ....شدّيه بهدوء إن شعرت أنك غير قادرة على التوازن ....
ترك بيتر قيادة الحصان الذي وافق على قيادتي له ...أسرع قليلا في خببه ووجدت أن ذلك مدهش ...أرخيت اللجام فركض الحصان قليلا ...بدأت أشعر بالسعادة وغمرت وجهي إبتسامة عريضة لونت وجنتي وطفرت الى عيني ..و صرخ بيتر ...يالله ما أجملك وانت جذلة

مساء كنا في مقهى على الراين ، كانت مجموعات من الشباب تستمع الى شريط تلفزيوني لأغان متنوعة ، مجموعة من أغاني البلوز لتشارلز براون وبيبي كنغ ويتوقف ليقدم أغنية يا مصطفى ،بصوت داريا مورينو ،يصفق الجميع بصخب ويشربون كاسات النبيذ بتبادل متكررللأنخاب , وحين يصدح بوق لويس أرمسترونغ ، يصمت الجميع بانتشاء

طلب بيتر زجاجة نبيذ فرنسي ، وبدا أنه معروف من الجميع فقد كانوا يحييوه باحترام فيما راحت الفتيات يرمقنني بفضول ، فقد كنت غريبة بالنسبة لهنّ
كان الراين يتدفق ملامسا حافات الجانبين فيما تمخره بواخر صغيرة وأحيانا زوارق عملاقة تقطر وراءها (دوب)تحمل الحصى والرمل ،فيما يقف بعض العمال على السطح يلوحون للأطفال المنتشرين على الكورنيش .
صرخ أحد الشباب : لنوقف هذا الحزن الموبوء...نريد ان نرقص .

بدأت ضجة بين معترض وموافق وحسم الموقف قيام فتاة باغلاق التلفاز ووضعت عملات معدنية في جهاز الموسيقى حيث انطلقت أنغام السامبا ،نهض معظمهم ليعدلوا من وضع الموائد بما يسمح بالرقص ،راقبت الأقدام المتحركة بخفة وبقوة وحرص الفتيات على شد بطونهن فيما ينطلق الجميع بحركات سريعة ومتتالية .

شعور غامر بالسعادة كان يتلبسني بأجواء لم أتعرف عليها من قبل ،فيما كان بيتر يرمقني بحنان ويلمس كفي المطروحة على الطاولة بمودة ،كانت الزجاجة الثانية من النبيذ الفرنسي توشك على النهاية ...قال بيتر، لقد تأخر الوقت ، والديّ ينامان مبكرا في العادة .
كانت المزرعة على مقربة ،والشارع الخالي من المارة يرين عليه هدوء ساحر وكمية النبيذ التي احتسيناها تقاوم البرودة الخفيفة .
قلت :بودي أن أركض
قال:المزرعة أمامك ...خمس مئة متر فقط....أركضي حتى البوابة وأنا اتبعك
قلت بنزق مراهق: لا ..نركض سوية ...تخاف أن أسبقك ...حسنا أعطيك عشرة امتار
: لا بأس ولكن بدون هديتك !
أمسك بيدي وبدأنا نركض ، مرت سيارة للشرطة وصاح السائق :هاي ..بيتر حافظ على صحة الانسة
صعدنا بهدوء الى الطابق العلوي ، صمت عميق يخيم على البيت فيما دفء لذيذ ينتشر كأنه يتواطأ معنا ليضيف إحساسا هانئا يغمر مشاعري
قال بيتر :أقترح أن أريك غرفتي وتتناولي كأس شمبانيا إحتفاء بهذا اللقاء .

كانت غرفة بيتر واسعة ، في صدرها سرير خشبي من طراز فرنسي كلاسيكي، مسند رأس السرير منجّدا بقماش لامع وعليه وسائد مزخرفة ،والجدران مغطاة بورق فوشي، فيما تنبعث رائحة عطر هادئ ،الأثاث بسيط ولكنه يحمل لمسة فرنسية ،على اليسار شباك على امتداد الجدار يطل على فضاء المزرعة الواسع وزجاجه من طبقتين لمنع الضوضاء، بدت الغرفة مترفة ومريحة ولكنها عموما تشي بأنها معدة لرجل أعزب
قلت :حقا إنها غرفة الامير بيتر
إبتسم وهو يضغط على يدي :أعرف انك تبالغين
- ولكنها الحقيقة
- أوافق على أن تكوني أنت الأميرة
- سيسعدني ذلك أيها الأمير الوسيم
لم يرد ، ولكنه اتجه الى براد صغير وأخرج زجاجة شمبانيا ،رجّها قليلا وقال:لتستعد الأميرة لبدء الاحتفال ...إنتبهي فستكون الفرقعة عالية وسينتشر الرذاذ كمطر خفيف مرح ليعلن البداية
حين فتح الزجاجة ،جفلت رغم التحذير،وأندفعت لأحتمي به ،غرقنا بقبلة طويلة وشعرت بدوار يلف بي الغرفة ، رمى الزجاجة التي إندفع منها دفق أبيض وحملني الى السرير...جري كل شيئ بسرعة وأحسست أن فيضا من سائل لزج يندفع بين فخذي وألم يوخزني على نحو مستمر....تنحى بيتر عني وقال
:لماذا لم تخبريني أنها المرة الأولى !
: لاأدري ...لم أتوقع أن يجري كل هذا

ناولني مجموعة من ورق المسح الناعم وارتدى ملابسه على عجل
حين أخذنا القطار الى أرنهم ، كان الحديث حول الدراسة وحول مستقبلي ، أين ازمع أن أعمل..؟
قالت جارتي في السكن :كيف قضيت العطلة مع والدتك
قلت :لم أكن مع والدتي
-:أين إذا؟
:في بوكسمير
:بوكسمير ...قالتها باستغراب وتابعت ..هل لديكم معارف هناك
:لا ولكني كنت ضيفة عند عائلة الدكتور بيتر
اقتربت مني وجلست على حافة سريري
: أصبح الموضوع أكثر تشويقا ...حدثيني
:جرى كل ما يمكن ان يدور في ذهنك
:كل شيئ
:نعم
:وكيف كان
:مدهشا ولكنه فوجئ بأني كنت عذراء
: وهل كنت؟
: ألا ترين التساؤل غبيا بعض الشيء
: ليس مهما ....لقد إنتقلت الان من مستوى بايلوجي الى درجة أعلى ...أنت الان امرأة
:ما كنت افكر به هو أننا النساء نتحمل الألم مع كل تحول بايلوجي....عند بداية الدورة الشهرية وحين نتحول الى نساء وعند الولادة ...الرجال وحدهم المحظوظون ...أليس كذلك؟
: لا أدري ، فلم أمر بمرحلة الرجولة !!
:رغم انك تبدين خفيفة الظل ،إلا أنه ،مرة أخرى جوابا غبيا
:لا بأس ...أنت في مرحلة التحول ...ولكن ماذا عن عطلة نهاية الاسبوع القادمة
:سأكون مع أمي

حين فتحت أمي الباب ، كان في يدها كتابها المفضل (لماذا نصلي للرب) ،كانت قد اشترته من عشر سنوات من أحد باعة الكتب القديمة وهو في الأصل بالإسبانية وترجمته الشركة الشرقية الهولندية لمساعدة البحارة الهولنديين في الحفاظ على ايمانهم المسيحي بعد إحتلال جزر الهند الشرقية والخليج (العربي) ، والكتاب يضم 540صفحة تتحدث عن اشكال الصلاة وما يصح ترديده ،وحين طلبت أمي أن أقرأه ،لم أستطع الإستمرار بعد الصفحة الحادية والعشرين.

كنت أنتظر أن تسألني عن سفرتي الى بوكسمير ، ولكنها لم تفعل ،أكتفت بنظرة طويلة في عيني ثم عاودت القراءة .
في مرحلة لاحقة عرفت ماذا يعني أن تكون المرأة أمّا، وعرفت أيضا إننا النساء ألأقدر على رؤية العالم بوجهه الحقيقي.
في فراشي تذكرت (رواية امرأتان) لم افهم في حينه العنوان ولكني الان عرفت ما عناه المؤلف ،وكيف أن لحظات عابرة ، تحفر في عمق كينونة المر أة وتنعكس على مجمل سلوكها .
بدت أمي أكثر تحفظا بتعاملها معي ، وفسّرت ذلك بعدم موافقتها على سفري الى بوكسمير، لقد أحزنها هذا التصرف سيما وأنا لا أحضر الى البيت إلا في أيام العطل الدراسية،ولكن ما شغلني هو النحول الذي كان واضحا عليها، وحين عرضت عليها ان تزور الطبيب رفضت .
:أعرف ما أعانيه ...ليس المرض ...إنه شيء آخر
:أنت معتكفة في البيت ولا تخرجين إلا لروضة الأطفال أو للسوق ...حتى صديقاتك لا ألحظ إنك على علاقة بهن .
:لا أجد الرغبة في ذلك

قالت أيلي -كانت العلاقة بين أبويك غريبة بعض الشيء...أرجو ألا تتضايقي ، أمك كاثوليكية ومحافظة وأبوك متحرر ويساري ، كيف استقامت الامور بينهما؟
قلت -كان هذا التباين المبدئي هو سر العلاقة الوطيدة بينهما ...أمي تقدس العائلة من وجهة نظر دينية وأبي يحترم العائلة من وجهة نظر أخلاقية ...كنت قبل الحرب أصحب أبي في مساءات سهره مع أصدقائه ولم يكن يتعاطف مع نظرات النساء اللواتي ينسجن بعيونهن حبائل إغراء ...وما كان يضايقني ، أ ن أصدقائه يدخنون بشراهة ويتناقشون في السياسة بصخب ويصل ألأمر ببعضهم أن يضرب الطاولة بعنف فألتصق بأبي
كانوا يتحدثون عن صراع الطبقات وعن الخطر النازي ومواضيع أخرى
-لماذا إذا كنت ترافقيه الى هذه اللقاء المملة ؟
- لأنه يشتري لي كل مساء حلوى وبسكويت ..كان ذلك يسعدني
-هل افهم أن طفولتك لم تكن سعيدة
- بالعكس ...بعد عودتنا أنا وأبي ، تستقبلنا أمي بمحبة غامرة ،تغسل يدي أولا ونجلس الى مائدة العشاء ، كانت تقودنا الى صلاة الشكر على المائدة ، وكان أبي يتطلع الى رف الكتب القليلة أمامه وينتظر بنفاذ صبر البدء بتناول الطعام، لم تكن أمي تتذمر بل كانت تبتسم وتسأله عن مصير الصراع الطبقي ، ويفهم هو انها تتخابث ،فيرد ...إنه بانتظار السيد المسيح .....كانا على وفاق متعارض !

-كم أنت محظوظة ،والدي كانا لايكفان عن الشجار ،حتى إن اختلفا على علامة الدرّاجة التي مرقت أمس الأول أمامهما

الفصل الثاني

نحن نعرف يقينا أننا
نعيش في أجمل العوالم

فردريك شليجل

في حفل التخرج كان بيتر يجلس على كرسي في الزاوية التي خصصت للأساتذة وكان يرمقني بحيادية ، لم أهتم للموضوع ،فيما راحت جارتي في السكن توشوشني بصوت شوشته نوبة إنفلونزا ...

-هل تعرفين، بيتر أجمل أساتذتنا ...كم أنت سعيدة الحظ..

قلت لها- أتركه لك فهل تملكين القدرة ...

قالت ياريت...ربما سأكون أسعد امرأة في شرق هولندا

قبل أن نتخرج زار المعهد ممثل عن مستشفى أرنهم ،دعانا العميد الى مقابلته في قاعة الاجتماعات ،كانت القاعة واسعة صفت فيها كراس بخطوط متتالية، وفي صدر القاعة منصة ترتفع حوالي 30 سنتمترا على قاعدة خشبية ثابتة ، وفوقها منصة نصف دائرية فوقها ميكرفون وهناك أربعة كراس، جلس العميد في الوسط ، والى يمينه الزائر من المستشفى يليه موظف لتسجيل ما يدور.

قدم العميد ،الضيف بأنه الدكتور البرت إيكمان كبير أطباء مستشفى أرنهم, وإن الغرض من لقائه بكم هو اختيار مجموعة منكم ، من الراغبين طبعا ، للعمل في المستشفى بعد التخرج.

كان الدكتور ألبرت في الخمسينات نحيل ما يميزه شاربان كثان على نحو ملفت للنظر يتدليان حتى نهاية الذقن ، وعينان صغيرتان حادتا النظر ، حتي شعرت انه يمكن أن يعريني وهو يحدق نحوي

تحدث الدكتور ألبرت باختصار عن حاجة المستشفى الى ممرضات وممرضين مؤهلين ، وبعد الموافقة على طلباتهم سيخضعون لدورة تدريبية في المستشفى أمدها ثلاثة أشهر، ثم الى فترة تجريبية لمدة ستة أشهر قبل أن يصبحوا من اعضاء المستشفى الفاعلين .

تقدمت احدى الطالبات بسؤال عن المرتب وعن ضرورة الإطلاع على شروط العمل .

أجاب الدكتور ألبرت بأنه سيتم توزيع كراس علينا يتضمن الرد على كافة الاستفسارات التي يمكن ان تتبادر الى أذهاننا ، وأنه بعد اطلاعنا وموافقتنا، نقوم بملئ استمارة تقدم الى عمادة المعهد ، التي تتولى مهمة ارسالها لنا مع مختصر عن تقرير شخصي عن المتقدمين.

قالت أيلي وهي جارتي في السكن:لقد شعرت إننا بصدد الالتحاق بمنظمة عسكرية ، لآ أحب الحديث الجاف والصارم

قلت –أعتقد أن الدكتور ألبرت كان يرغب في الإختصار

قالت – ولو ..كان بإمكانه أن يرحب بنا على الأقل

تقدم الدكتور بيتر نحوي بعد انتهاء اللقاء

-الدكتور ألبرت أحد زملائي وهو صديق شخصي ، هل ترغبين بأن أكلمه بشأنك؟
-لا ...مع شكري.

كانت مشاعري محايدة ...أنا لآ أحمّله أية مسؤولية عما حدث فقد كان كل شيء يسير باتجاه واحد وكنت ضمنا موافقة وإن بتردد ، ولكني الان شخصا آخرا كما قالت زميلتي أيلي...علي أن أتكيف مع واقعي الجديد بموضوعية.

قالت أيلي:لقد كنت جافة مع الدكتور بيتر
قلت:لدي بعض المشاكل
قالت :هل أستطيع المساعدة.

كنت أتهرب من مناقشة الموضوع ، هكذا بعض القناعات ، نخاف من طرحها لأنا غير متأكدين منها وبالتالي فإن دفاعنا سيكون مرتبكا وضعيفا ومكشوفا
قلت:شكرا أمي مريضة و هي تحت المراقبة الطبية .

بدت أمي قلقة وفي عينيها كمية من الحزن الراكد يجعلها مستسلمة على نحو لم أعهده فيها ، لم تبد أية رغبة بالحديث معي كتواصل لمعرفة شؤوني على الأقل ، وحين قلت لها أني قد أنتهيت من دراستي في المعهد بتفوق ،قالت وهي شاردة ...مبروك
قلت :من المؤكد أنهم سيجدون لي عملا في مستشفى أرنهم
قالت :أرجو أن يتم ذلك.

رفعت صورة أبي الموضوعة على منضدة مخصصة لجهاز التلفاز وهزت رأسها برتابة وهي تنشد من المزمور 16 لداوود
قلت للرب
أنت سيدي
خيري
لاشيء غيرك
لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي
جسدي أيضا يسكن مطمئنا
لأنك لن تترك نفسي للهاوية
لن تدع تقيّك يرى فسادا

جلست الى الشباك تنظر الى الشارع ...طلبت أن آتيها بالماء لأنها تشعر بجفاف في حنجرتها

حين سلمت استمارة طلب التعيين لسكرتير العميد قال لي
-آنسة ديني ، يمكنني أن أقول لك مبروك فقد كنت من بين ثلاث طالبات ،أوصى العميد بترشيحن للقبول
قالت أمي –ستكونين عونا للمرضى ...بهذا اوصانا الرب
قلت –وهذا ما أرغب به
لم ترد ...كانت قد توقفت عن الذهاب للروضة وحصلت على تقاعد ....كانت تضع المبلغ في كارتون بعد ان تسحبه من البنك
-النقود تحت تصرفك ، وأنا أحتفظ بها في المنزل لتكون لك بعد أن افارقك ..أكن لأبيك اشتياقا ورغبة في لقائه

لم أرد ،شعرت بشيء من تأنيب الضمير ،فأنا لا أتذكر أبي إلا يوم عيد الإستقلال وتجمع رفاقة في الساحة الملحقة بفناء البلدية حيث تجري مراسيم الاحتفال بهزيمة النازية..... وعادة يذكر اسم أبي بإعتباره أحد مسؤولي حركة المقاومة ومن أبرز مقاتليها في الجانب الشرقي ،قال لي بنّو دي بورن ...كان والدك صديقي ،ورغم أنه لم يحصل على تعليم عال فقد كان مثقفا يمكنه أن يناقش في الأمور النظرية وكان مثله الأعلى السياسي (مارينو فان دير لوبي) الذي أعدمه الالمان في عام 1934 ....كان شيوعيا حقيقيا يعتز بكونه من الطبقة العاملة ،وحارب ببسالة

كانت رسالة المستشفى مقتضبة ،تتضمن دعوتي للحضور يوم الاثنين الساعة الحادية عشر
جرى كل شيء بسرعة ...قدمت لي مجموعة من الاوراق المليئة بضوابط وشروط لانهاية لها ، لم ادققها ،تأكدت فقط من المرتب وساعات الدوام ، قمت بالتوقيع عليها واستلمت نسختي وعدت الى البيت
كانت أمي تتمدد على سريرها ، في يدها مسبحة طويلة سوداء وعلى صدرها صورة أبي بإطار خشبي أبيض اللون والى جوارها كوبا من القهوة
قلت لها أني قد قبلت في المستشفى ،نظرت نحوي ووضعت يدها على رأسي ورددت:

أما أنا فمسكين وبائس. الرب يهتم بي. عوني ومنقذي أنت. يا إلهي لا تبطئ.

صمتت برهة ،ثم قالت :سنتناول الغداء سوية ،ماذا ستعدين لنا؟
شعرت بفرح غامر فهي لم تطلب هذا منذ أكثر من سنه.

أول يوم عمل بالمستشفى ، شعرت بالفرح ...تحوّل جديد في حياتي، لم أعد الطالبة التي عليها أن تراجع الدروس وتحضّر الواجبات وتستمع الى أحاديث طويلة ومملة ...الحياة

في المستشفى حركة دائمة ...وجوه جديدة كل ساعة ، ومشاعر متنوعة في كل لحظة وعمل بدا لي غاية في الأهمية ...

قالت رئيسة الممرضات وهي تراقب تعاملي مع المرضى
-ستنجحين في عملك ...وهناك أمر تتميزين به ..أنك تملكين إبتسامة ودودة وجميلة ستساعد كثيرا ...المرضى يهتمون بتعابير الوجه للذين يتعاملون معهم ...حافظي على ابتسامتك
- نعم وأشكر تشجيعك.

بعض المرضى يتّسمون بجدية حتى وهم يتألمون ،وبعضهم ما ينفك يشكو ويتذمر وهناك مجموعة قليلة يتعمدون المزاح ...قال لي رجل في السبعين يعالج من كسر في الحوض
-لو كنت قد تعرفت عليك قبل ثلاثين سنة لحاربت من أجل الزواج بك ، والأهم لما تعرضت لكسر الحوض ...
-من حسن حظي أنك لم تتعرف بي لأني لم أكن قد ولدت بعد ...ورجل يعيش على التمنيات ،لن أقبل الزواج به.

كانت أمي تقترب من النهاية ...وقال الدكتور الذي يعالجها أنها لا تتعاون ...وهي تحلم بلقاء زوجها ..انها تردد ذلك باستمرار ...ولاتتناول الكفاية من الطعام
لم تهتم بتوسلاتي بأن تعتني بصحتها وكانت ترد باستمرار
-ارتض يارب بأن تنجيني..... يارب، إلى معونتي أسرع.

ما كان يتعبني في عملي هو المناوبات الليلية ، ولكن على العموم كنت سعيدة ،المرأة المريضة تظل تبحث عن العناية الشخصية ، أما الرجال فقد كانوا عموما يتسلون بالحديث او المزاح مع الممرضات ولكنهم يصبحون جادين مع الطبيبات ، ويعود هذا الى ان الطبيبات لا يحضرن الا مرة في اليوم واحيانا في الاسبوع .
في فرص تناول الطعام تتحدث الممرضات عن بعض من مشاكلهن أو عن المرضى ونتبادل الطرائف عن سلوك بعضهم ...عدد منهم يتصرف كالأطفال والبعض الآخر كمراهقين

قالت ميشيلا وهي ممرضة سمراء تتسم بجاذبية :المريض في الغرفة 36 عرض علي الزواج....
علقت مركريتا ...أعمل هنا منذ خمس سنوات ولم يفعلها معي أحدهم...ميشيلا أنت تنسجين له شبكة فوقع فيها ...

ردّت ميشيلا ...ستجدين ذات صباح انك تحولت الى ضفدعة بسبب غيرتك ...أنا أجمل منك وسأتزوجه.....سوف لن أدعوك الى حفلة زواجي لأني اخشى على المدعوين من شدة نقيقك

قالت أمّي:داني، قد لا تسلكين طريق الرب ، ولكني ارجوك، رغم ذلك أن تصلي لي، ولو مرة واحدة في الشهر
قلت :سأصلي لك كل أحد ليس فيه عمل في المستشفى
إبتسمت بوهن:سأكون ممتنة لك
ناولتني دفتر بغلاف كارتوني وقالت :أترك هذا لك ...إنه ما كتبه أبوك أثناء الحرب...لأني أجد أن من المهم أن تطلعي عليه وأن تحتفظي به فهو آخر ممتلكاته ...قبل إعدامه سلمه لرفيقة دي بورن .

كنت قد وصلت المستشفى قبل مناوبتي ...جلست في غرفة الإنتظار لأتناول بعض القهوة، تذكرت الدفتر ....كانت بضع صفحات مكتوبة بقلم الرصاص وكان الخط على قدر كبير من الإتقان الى الحد الذي فكرت فيه أن أبي كان يمكن أن يمتهن الخط أو أن يوظفه في عمل فني كما يفعل بعض الفنانين التشكيليين هذه الأيام
كانت الصفحة الاولى تتحدث عن تسلم أبي نسخة من مجلة (الحقيقة) التي كان يصدرها الحزب الشيوعي الهولندي والتي تضمنت الدعوة الى الإضراب العام ، ويكتب أبي .....قمت بالاتصال بعدد من العمال في بعض المصانع والورش في أرنهم .. كان الجميع متحمسين للمشاركة ،وفي شباط كان الاضراب ردا على هزيمة هولندا امام القوات النازية
الصفحة الثانية ،كتب أبي ....اليوم 13-09-1943 قامت قوات الغستابو باعدام 180 هولنديا رميا بالرصاص بتهمة التعاون مع المقامة ..كان من بينهم 14 من أعضاء الحزب ومنهم صديقي العامل معي في الورشة الميكانيكية (ا براهام فان دويك)
الصفحة الثالثة ، تحدث أبي عن مشاكل تنظيمية كتبت عنها مجلة الشرارة

الصفحة الخامسة كانت تتحدث عن قيامه واثنين من رجال المقاومة لم يذكر اسماءهم ، بتفجير جزء من خط السكة الحديد
الصفحة السادسة ، كرسها أبي للحديث عن اشياقة لأمي ورغبته بأن يحضنني ويستمع الى مراجعتي دروسي
الصفحة السابعة مقطع من قصيدة للشاعر اليساري كورتر
لم أحصل على مبتغاي
ألقيت اللوم على كاهلي
هو همّ حرصت على تخفيفه
لم تعبأ بي الحياة !

هي الشمس وأنا المطر
نحن الآن قوس قزح
العالم واسع لا حدّ له
غير أن حياتي
تناثرت
بقية صفحات الدفتر كانت عن عمليات قامت بها مجموعته ضد القوات الالمانية ، كتبت باختصار شديد...عدا ما أسماه (إصطياد الضابط فردريك مولر) المسؤول عن التحقيق مع رجال المقاومة الهولندية ،حيث كتب بدقة عملية تصفيته بعد عشرة أيام من المراقبة الدقيقة ...قال بأن أربعة من رجال المقاومة اشتركوا بعمليات المراقبة والتصفية ولكنه لم يذكر أسمائهم .

آخر صفحة كانت مكتوبة بأرقام وكلمات لا رابط بينها، سألت أمي ..إبتسمت وهي تومي لي أن أقترب منها ..قالت ..هذه لغة استعملناها ونحن عشاق ...أمك أيضا تعرف الحب ...إنه يذكرني بأيامنا الجميلة
وضعت الدفتر في حقيبة يدي وتسلمت عملي.

حين عدت مساء كانت أمي تتحدث بهدوء وبصوت كأنه صدى من بعيد ....نعم سأحضر ..لم يتبق شيء لي هنا ...داني ..آه نسيت أن أخبرك إنها إمرأة الان ..وهي تعمل في مستشفى أرنهم ...لقد سلمتها دفترك ....

حاولت أن أعيدها الى الواقع ...شعرت أني ملقاة بجزيرة خالية من البشر ، الظلمة وأشجار البلوط وصوت الرياح وهي تصفر في ممرات غابة موحشة
لم تستجب ، إتصلت بالمستشفى
بقيت طوال الليل بجانبها وهي ملقاة على السرير ...الشراشف البيضاء المحيطة بجسدها النحيل جعلتها تبدو كصور القديسات في المجلات القديمة
كنت قد غفوت على الكرسي ..كانت الممرضة مالينا تهزني برفق ...الشرشف الأبيض سحبته على وجه أمي ..تحجر الدمع في عيني ...تجمع حولي بعض الزملاء والزميلات ثم قادوني الى غرفة الاستراحة .

نمت طوال النهار ، لم يوقظني ضجيج المستشفى ولا الحركة المستمرة في الأروقة، وأنهيت إجراءات الدفن ..قالت مالينا ..سيتم الدفن غدا ...قلت سأنام هنا ..لم يعترض أحد.
حين عدت مساء الى البيت ، داخلني شعور موحش ،مرت بي كوابيس لم أعرفها من قبل ..كان أبي يمسك بندقية مصوبة الى جندي الماني ،وكانت أمي تمد يدها في تضرع،فجأة وجدت نفسي أسقط في بئر بعيد القرار فيما يصرخ أبي ..داني إختبئي جيدا

ولا تدعي شعرك يصعد الى أعلى فالنازيون سيهبطون على خصلاتك ..يقول ..لإمي إبنتنا...حافظي عليها !!.

شعرت بعطش ...لم أفتح الضوء ..مشيت في العتمة حتى صنبور الماء ...سقطت من السقف سحلية صغيرة ،أخذت تتحرك في حوض الغسيل ، تناولتها برفق وهي تنظر نحوي مذعورة ورميتها من الشباك الى الشارع.

أتصلت بمالينا ...كانت نائمة وردت بضجر، أغلقت السماعة وعدت الى سريري ،كانت أمي تقول ،إذا تعرضت للأ رق فإن أفضل علاج أن تقرئي بالكتاب المقدس أو أن تنشدي بهدوء واحدا من مزامير داوود ....فتحت الضوء وتناولت الكتاب المقدس ،قرأت في سفر إشعيا ... ما أجمل، على الجبال قدميّ المبشّر المخبر بالسلام ، المبشّر بالخير، المخبر بالخلاص، القائل لصهيون قد ملك إلهك،...
بدلا من أن أسترخي ، رحت أناقش النص ، وجدت أني أصحو ...وقفت عند الشباك أتطلع الى الشارع الخالي من المارة ...توقفت سيارة ونزلت منها إمرأة بكعب عال ومعطف أسود .وهي تنزل كشفت عن فخذيها وخفضت رأسها ..كانت تسريحتها مما كان شائعا ..الشعر العالي والمنفوخ، في فمها سيكارة ويبدو انها مخمورة فقد نزلت تترنح وهي تدلف في البناية المقابلة،انطلقت السيارة بضجيج صاخب...ابتعدت عن الشباك وارتميت على سرير أمي.

استيقظت على رنين الهاتف ،كانت الساعة العاشرة صباحا ،قالت مالينا بصوت متعاطف :بعض الزملاء يرغبون بزيارتك الساعة الساسة مساء.
بعد تناولي كوبا كبيرا من القهوة ، قمت بترتيب الشقة واجراء تهوية لتغيير أجوائها ورش معطر خفيف
كانوا مجموعة من الممرضين والممرضات ...رئيسة الممرضات وموظف الإستعلامات ،جاءا بعدهم بخمس دقائق ،كانا يحملان أكياسا بطعام متنوع
أعرب الجميع عن أسفهم ، وقالت رئيسة الممرضات أنها رتبت لي إجازة لمدة أسبوع ...شكرتها وأعربت عن رغبتي بالعودة الى عملي في اليوم التالي ،الوحدة تزيد من مشاعر الوحشة وألم تذكر أمي.

حينما قرروا المغادرة قال موظف الإستعلامات ماريو فان دوك ،بأنه سيتأخر بعض الوقت ،همست مالينا بأذني ...كوني على حذر فماريو يقيم علاقات نسائية واسعة !
ظل ماريو واقفا لحين عودتي من توديع زواري ،رجوته أن يجلس.

كان ماريو شابا في الثلاثينات على قدر كبير من الوسامة ويتسم سلوكه بالدبلوماسية والحديث المناور ،حتى أنه يصعب فهم المراد من بعض ما يقوله ، فهو يترك فسحة للتأويل
قال :تعرفين أني على مقربة من بيتك ، وحيث أن دوامك غدا سيكون في المناوبة الصباحية ، فإنه يمكنني أن أصحبك الى المستشفى ،ركوب الدراجة قد لايكون ملائما بوضعك النفسي ، الأسبوع الأول على الأقل.
-شكرا لموقفك النبيل ولكني أفضل الدراجة ،لأن الجهد يخفف من عناء التفكير
-على أية حال سأكون جاهزا إذا إحتجت لأي معونة
- شكرا وأقدر موقفك
في الباب شد على يدي بقوة وهو يودعني ،فيما راحت عيناه اللتان بلون الزمرد الأخضر الصافي والمحاطتان بدائرة رصاصية حول البؤبؤ ، تجتاحان كياني وتشعراني بالإرتباك.
في المستشفى كان الجميع متعاطفين معي ،وبمضي أسبوع كنت قد تعودت حياة الوحدة وفراق أمي ، ولكن لم أخرج من دائرة الشقة والمستشفى.
قال ماريو –ما رأيك بتناول القهوة مساء على الراين ...عليك أن تخففي عن نفسك
لم أرفض ،قال سأمر عليك في السابعة.

كانت كافيتريا صغيرة تضع كراس على الرصيف وطاولات دائرية صغيرة على الطريقة الفرنسية ...كان هناك بضع فتيات يمضغن اللبان بطريقة المراهقات ويعملن كرات ينفخن فيها حتى تنفجر ليدخلن في نوبة قهقة مشتركة
قال ماريو –هل نذهب الى الداخل؟
-نعم ،في الداخل أكثر دفئا
طلب زجاجة من البيرة أما أنا فقد طلبت كأسا من النبيذ الاحمر الحلو...قال النادل :هل ترغب الانسة بالألماني أم الإسباني
قلت :الإسباني رجاء
قال ماريو :كانت إجابتك حاسمة ،هل ما زلت تكنين العداء لألمانيا
قلت –ليس عداء ولكن تحفظا ، النازيون قتلوا أبي
قال ماريو –نحن نعيش عصرا جديدا
قلت-ولكن لايمنع الذكريات من أن تطفو بشكل عفوي في فكرنا
قال –لا ...وبالتأكيد تحتاج الى زمن أطول لتستقر في القاع تحت ركام ذكريات متتالية.

كانت موسيقى حالمة ورقيقة تملأ فضاء الكافيتريا ...عزف على بيانو منفرد على نحو ساحر
-لمن هذه المقطوعة ....سألت النادل الذي أجاب بعدم معرفته
قال ماريو -انها لشوبان ...

قلت –يبدو انك على صلة بالموسيقى
قال-الموسيقى هي التي قادتني الى سحر ابتسامتك
قلت –هل بدأنا مبكرا بالغزل!
قال-لا ..ليس مبكرا ...فقد كنت استمع الى عزفها الساحر منذ أول يوم وقفت أمامي تسأليني عن الادارة لتتعرفي على عملك...لقد ملأت موسيقا حالمة مسامعي لتتسلل الى أعماقي بعذوبة رقيقة ...بعدها كنت أنتظر حضورك الصباحي كل يوم

- ولماذا الصباحي
- لأن الصباح هو فاتحة اليوم

كان حديثه يجمع بين التشويق والطرافة....تناول الزجاجة الثانية ولم ارغب بطلب النبيذ ثانية

قال- ماذا ترغبين للعشاء
قلت – لاشيء...فأنا لاأشعر بالرغبة او بالجوع
قال –حسنا ...نغادر إذا
عند باب البناية ودعني وهو يقبل يدي وقال-اشكرك من أعماق قلبي لأنك سمحت لي برفقتك هذا المساء ...ستظل ذكرى جميلة

حين دخلت الشقة ، لم اشعر بالوحشة ولم تضايقني مشاعر الوحدة ،أبدلت ملابسي وأويت الى فراشي وأنا أشعر بالرضى وبدفق هادئ يتسلل الى كياني ،فأحس بخدر لذيذ لأغفو
في الصباح إبتسم ماريو بود ، ولكنه لم يتعمد محادثتي ..كان يتصرف (كجنتلمان) حقيقي
قالت ميلينا –يبدو وضعك اليوم أفضل ،فقد عادت ابتسامتك مشرقة
-نعم فأنا أتقلم مع وضعي الجديد
-وضع يظهر فيه ماريو على حصان أبيض
-لا أدري ، ولكنه قريب مني
اصبح خروجي مع ماريو عاديا ...يواعدني الساعة السابعة ونذهب لنقضي بضع ساعات نتحدث بكل شيء وعن كل شيء....الحديث معه يشعرني بأني أعود للحياة .

ذات مساء وأنا اعتدل في جلستي متهيأة لشد حزام الأمان قال وحتى دون أ ن ينظر نحوي
:داني أنا أحبك
فاجأني ، ولكني لم أستغرب ، هذا هو ماريو

- وماذا تنتظر مني؟
- لا أدري .. اقول ما أشعر به

ضحكت ، وقلت له : ألم يكن من ألأفضل لو اخترت لحظة شاعرية؟
-المسألة نسبية في تقدير الأمور
حين ترجلنا من السيارة ،كان يركنها عند بائعة زهور ،شابة في العشرينات غاية في الجمال
قلت - الوردة الوحيدة الجميلة هي التي تنتصب عند الصندوق
ضحك وقال- ولو، لا تغلى عليك ولكن ألا تغارين؟
- لا ...فالجمال من صفات الرب كما تقول أمي
- وفي حالة جمالك !!!
- ألم نتفق على عدم المبالغة
أصبح ماريو جزءا من مفردات حياتي اليومية ،وفكرت أن نقترب اكثر ..قالت ميلينا ..أنتما ثنائي منسجم

انتقل ماريو الى شقتي ...قررنا أن نعيش فترة إختبار ...كانت مثل هذه الأفكار في بداياتها ...قالت رئيسة الممرضات .. وماذا لو أصبحت حاملا ...قلت لن أصبح ...أنا ممرضة ...ضحكت ...شاطرة ...في زماننا كان الأمر فضيحة
مرت ثلاثة أشهر كنا سعداء كعصفورين في حديقة يتنقلان من غصن لآخر ملؤهما حيوية متدفقة ...منشغلان عن العالم ...كنت استيقظ صباحا فأجده الى جانبي كطفل وديع ينسدل شعره على الوسادة ويضع يدا تحت رأسه والأخرى على وجهه...أنسل من الفراش الى المطبخ لأعد الافطار ...لم يكن يرغب بترك الفراش فأعمد الى تشغيل جرس التوقيت لساعتين أضع الأولى الى يمينه والثانية الى شماله...

كنا نصل الى المستشفى قبل بدء الدوام بدقائق..... قالت ملينا ...لقد أحيلت رئيسة قسم التمريض على التقاعد....ولدينا رئيس ممرضين الآن ...

كان في بداية الستين شعرت أن نظراته لزجة !! قال ماريو كم هوطريف هذا الانطباع ...قد تكون حقيرة أو معادية ، ولكن لزجة .!!..فعلا أنه أمر مقرف...
قالت مالينا ...سنستمع غدا عند الواحدة ظهرا الى حديث طويل عن أهمية التمريض في علاج المرضى !!

كان الإجتماع مملا فالحديث الذي طرحه رئيس الممرضين (هاري الصغير) مكررا طوال سنوات الدراسة وزاد من درجة الملل فيه أن هاري لم يكن محدثا لبقا،لحظت أنه كان يخصني بنظرات فاحصة ،قالت مالينا ..لن أحضر ثانية في مكان تتواجدين به!
بعد الاجتماع ، طلب هاري أن أوافيه الى غرفة الإدارة ...

قال - لقد سمعت أنك من أكفأ العاملات في المستشفى ...قلت شكرا ..
.كنت أدرك أنه لم يطلبني لهذا الإطراء...
قال -هل تزوجت السيد ماريو ..
قلت بحدة -لا أعتقد أن هذا يهمك ..
قال :بلى ،أنه مهم من أجل تقدير وضعك العائلي
- وما شأنك بوضعي العائلي ...هذا من اختصاص إدارة المستشفى
- الى حد ما نعم
- هل تسمح لي بالذهاب ؟
- لا بأس ولكن تذكري أننا سنلتقي يوميا.

شعرت بعدم الارتياح لحديثة ،وحدثت ماريو بذلك فقال أن هاري الصغير شخص لا يحمل الكثير من المواصفات الخلقية

مر أسبوعان حين دخل ماريو الى غرفة استراحة الممرضات ، كانت الساعة الثالثة ظهرا ، وعادة تكون الأمور هادئة بانتظار موعد زيارة المرضى ،اقترح أن نشرب القهوة في غرفته في الطابق الأول عند المدخل، استأذنت من زميلاتي ورجوتهن أن يخطرنني في حالة أي طارئ أو حالة مستعجلة.

كنا قد تناولنا أول رشفة من القهوة حين دخل هاري الصغير ، لم يلقي التحية وتوجه نحوي بالحديث
-آنسة داني ، هناك حالة مستعجلة بالطابق الثالث.

في اليوم التالي إستدعى مدير المستشفى ماريو ، وفي الخامسة كنت أنتظره عند موقف سيارته....كان عابسا فيما تدلت خصلات شعرة الطويل على وجهه ليضفي عليه تعبيرا غاضبا
قال-لقد طلب مني المدير أن أتدبر أمر نقلي الى مستشفى أمستردام ومنحني ثلاثة أيام لترتيب أوضاعي
قلت –ولكن ماذا سأفعل؟
قال-أعرف أنك لن تستطيعي مغادرة أرنهم ...ولكن لنترك هذا الآن حتى مباشرتي في أمستردام ودراسة الموضوع بهدوء
حين جمع ماريو حاجياته ،شعرت ثانية بالوحشة وبفراغ جعلني أحس أني وحيدة في هذا العالم الواسع
قال ماريو –لقد بدأ هاري الصغير هجومه مبكرا إعتني بنفسك ...إحدى زميلاتك واحدة من مجنداته الان .

بدأت لقاءاتنا تتباعد، بعد سفره، وتحولت من اسبوعية الى شهرية ، وفي الشهر السادس أصبحت تلك العلاقة متراخية وبدأت أعتاد الوضع الجديد ...حاول هاري الصغير أن يتقرب مني ولكني كنت حازمة معه...قال ، بعض الأمور تحتاج الى الصبر والى الوقت ...لابأس ...لم أرد عليه وشعرت بأني قوية بما يكفي لعدم الانجرار الى معركة يريد افتعالها لينتقم.
اتصلت بي مالينا مساء يوم ماطر ، لتخبرني أن لديها أمرا تود أن تطلعني عليه .

-لدي اعلان من السفارة الفنزويلية يطلب ممرضات مؤهلات وبخبرة لا تقل عن ثلاثة سنوات
-وماذا بعد !
- لاشيء ...فكرت أنه قد يكون من المناسب أن نذهب الى هناك ، فهي تجربة وسياحة مدفوعة الأجر
- لا أعتقد أن لدي رغبة بالانتقال من أرنهم
-فكري...سنتحدث غدا ...سأتصل بك لنلتقي في أي كازينو ، لاتفكري بالمصاريف.
ضحكت وتابعت –الموضوع يستحق بعض الخسائر وسأتحملها أنا.

ذهبت الى الفراش مبكرة إذ لم تصل الساعة بعد الى التاسعة...كيف سأغادر أرنهم، المدينة التي أعرف كل زاوية فيها ،وأذهب الى مكان لا أعرف عنه شيئا ...فنزويلا، أقرأ عنها في الصحف اليومية أحيانا ، أنها تعاني من مشاكل سياسية وتتكرر فيها المظاهرات والإضرابات ،في كتاب التاريخ المدرسي إشارة الى أنها كانت ، كما هو حال هولندا ، تحت الاحتلال الإسباني ...كنا نخوص حرب الثمانين سنة للتحرر حينما اجتاحتها الجيوش الاسبانية...وقبل أيام عرضت القناة الاولى تقريرا عن البترول وأشارت الى أن فنزويلا واحدة من أهم الدول المنتجة ...فهل تكفي هذه المعلومات لمساعدتي في العيش فيها ؟
قالت مالينا – العدد المطلوب 100 ممرضة وهذا يعني أنا لن نكون وحدنا ، وبمثل هذا العدد يمكن أن نبني مستعمرة هولندية ....فكري
-وكيف سيكون التقديم
-رائع ...كنت أنتظر موافقتك

كانت داني تتطلع عبر نافذة القاطرة ، حينما بدأت حركة القطار متباطئة ...قالت ..نحن على مشارف أرنهم ، لقد انقضى الوقت بسرعة
- مثل هذا الحديث الممتع هو العلاج للوقت الممل في السفر الطويل
- هل أفهم أنك استمتعت فعلا بالقصة
- نعم ..وأنا غاية في اللهفة والشوق لسماع البقية

- خذ بطاقة الزيارة ففيها رقم هاتفي ، ويمكننا التواصل لترتيب لقاء لهذا الغرض.

ونحن نترجل من العربة ،ودعتها وتوجهت نحو رصيف القطار المتوجه الى دوتنخم .

الفصل الثالث

إن التأمل هو ايضا إرادة

غاستون باشيلار

- وإذا سأبدأ من حيث انتهيت ، لقد لخصت كل ما أطلعتك عليه ونحن في القطار فقد شجعني اهتمامك على إعادة مراجعة العديد من ذكرياتي

كانت داني ، تجلس قي مقابلي على طاولة في مقهى على الراين ، كنت قد اتصلت بها بعد اسبوعين من افتراقنا فقد كانت لدي بعض المهام التي انشغلت بها في دوتتخم
قالت بأنها سعيدة لأني ما أزال راغبا في الإستماع الى حكايتها وتركت لي تحديد اللقاء ، قلت لها غدا .....قالت .. أنتظرك الساعة الثانية عشر.

وجدت داني قد وصلت قبلي الى مكان اللقاء ،وفي عينيها ألق بهيج ، فيما كانت ابتسامتها أكثر نظارة وتطفح بسعادة مشرقة تتلألأ في عينيها.

قالت-اتفقت مع ميلينا على الذهاب الى السفارة الفنزويلية في لاهاي بعد ان حصلنا على إجازة ليوم واحد
كان الإعلان يتحدث عن اصطحاب الممرضات الراغبات في العمل لصورة عن جملة المستندات التي سيتم تدقيقها اولا ثم يتم إجراء المقابلة.

عند بوابة السفارة كان حارس هولندي طلب الإطلاع على هوياتنا الشخصية قبل ان يسمح لنا بالخول
في غرفة الانتظار بضع ممرضات من مدن مختلفة تمسك كلا منهن ملفا وتتطلع الى الموظف المكلف بفحص الملفات ،بإنتظار إعطاء من تتم الموافقة على ملفها رقما متسلسلا
خرجت ممرضة تبتسم برضى ينم عن الموافقة على قبولها ...قالت ممرضة الى جانبي :المقابلة ميسرة فهم بحاجة الى عدد لن يحصلوا على نصفه !
لم أرد وأكتفيت بإبتسامة مجاملة.

توجهت ميلينا الى الموظف ، صافحها وهو جالس وقال لها :الدكتور ماركوس.

تناول ملفها وطلب منها الجلوس...كانت عملية المراجعة سريعة وسألها :أنت خريجة عام 1952
-نعم

-هل عملت في مستشفى واحد منذ تخرجك
-نعم في مستشفى مدينة أرنهم
-هل انت متزوجة ؟
-لا
-حسنا آنسة ،انتظري دورك لمقابلة اللجنة

قمت بعدها وتكررت نفس الأسئلة ، واستلمت رقمي المتسلسل ، حين خرجت ميليا غمزتني بعينها وقالت :أنا بانتظارك.

كانت غرفة المقابلة واسعة ،على الجانبين بضعة كراسي ومنضدة زجاجية طويلة تمتد في الوسط ،عليها مجلات باللغة الاسبانية وفي صدر الغرفة طاولة جلس وراءها ثلاثة أشخاص ، يحمل كل منهم شاربا أسودا كثا ،كما نراه في افلام الكارتون المكسيكية.

في الوسط ، الذي يبدو أنه رئيس اللجنة ، رجل ضخم الجثة أجبره كرشه المندفع الى الأمام على الابتعاد عن حافة الطاولة ،رأسه كبير لامع شديد الأحمرار،تبدو عيناه خلف نظارة سميكة ، متضخمتان
قال-يسرني أن أرحب بك آنستي
-شكرا أيها السيد
-خوزيه ....الدكتور الاختصاص بجراحة الأعصاب ، خوزية
-سيدي الدكتور خوزيه
-بداية جيدة
ابتسمت ، التفت الى الشخص الى شماله وقال بالإسبانية:إنتبه لديها ابتسامة ساحرة
-شكرا سيدي الدكتور خوزيه
رفع نظارته فوق رأسه اللامع مندهشا - هل تعرفين الاسبانية !
-نعم سيدي ..والانكليزية
-هل سبق أن زرت فنزويلا
-لا ...لكني سأفعل
-أنت تجيدين عملية التواصل ...هذا من أبرزنجاح الممرضة في عملها...
شعرت براحة عميقة
-هل يمكنني أن اعرف في أية أقسام عملت ؟
-نعم ...قسم الولادة والاطفال وقسم معالجة الكسور وثلاثة أشهر في منتجع للكبار
-جميل ...هل لديك جواز سفر؟

-نعم وهو صالح لسنة وثلاثة أشهر
-أنا مسرور لأنك دقيقة
-شكرا أيها السيد
تحدث بهمس مع الشخصين على يمنه وشماله وقد تقاربت رؤوسهم .

- حسنا آنستي ...سيصلك كتاب رسمي خلال أسبوع وأرجو خلال هذه المدة أن تحصلي على النسخ الأصلية من المستندات المقدمة ...وبما إنك تحسنين اللغة الإسبانية ، سيسهل هذا عليك متاعب التواصل مع المرضى...وبالمناسبة يمكنك أن تحصلي على كتيب لدى الاستعلامات يعطيك صورة إجمالية عن فنزويلا
تمنياتي بالنجاح في عملك.
- هل أفهم من هذا أني مرشحة للوظيفة ؟
- بالتأكيد
- شكرا أيها السيد

وأنا أ خرج إنتابني إحساس بالثقة ، وشعرت أني امرأة محظوظة وأن السفر الى فنزويلا فرصة نادرة سيتيح لي أن أتمكن من تحقيق حلمي برصيد بنكي والقيام بسفرة سياحية كل عام...وتجاوز الذكريات الأليمة .

حين نهضت مالينا ، إحتظنتها بحميمية
قلت -لقد كانت فكرتك مدهشة ، والآن فإن كل ما أتمناه أن تكوني معي،لايوجد في فنزويلا صديقات بهذه الروعة .
قالت -أنت الان داني أخرى....لقد بح صوتي وأنا أقنعك ، وألان تطلبين مني أن أرافقك ... تذكري أن هذا كان مقترحي ... ماذا حصل ؟
-حصل أني كنت وأنا أتحدث ، أتصور نفسي في فنزويلا
- حسنا ليبقى الامر سرا حتى نستلم كتاب السفارة بالموافقة .

لم نخمن الأمر جيدا ، في صباح اليوم التالي ، كان الخبر متداولا في المستشفى،ولهذ أسرعنا باستخراج المستندات المطلوبة ....
قال هاري الصغير ...ستقوم الادارة بمنع تسهيل عملية الحصول على المستندات ، المستشفى مهدد بنقص كبير في الممرضات.

حين أويت الى فراشي ، لم أستطع النوم ، كنت أتطلع في الظلمة الى كل قطعة أثاث في الشقة وأستطيع أن أراها بوضوح تام ...لقد عشت معها كل سنوات عمري ، والآن علي أن أفارقها ، وربما الى ألأبد ...كانت أمي تقف في الزاوية

وفي يدها مسبحتها السوداء ، كانت صامتة ، ولكن عينيها الفيروزيتين تشعان، وهما تتطلعان نحوي بحب غامر.

- أمي العزيزة ، أحاول أن أجرب حياة جديدة ،سوف أكون ممتنة إن دعوت لي
- سوف أفعل.

سمعت ذلك بوضوح ،شعرت بلمسة حزن تملأ كياني فأرتجف ...سحبت الغطاء الى وجهي وأغمضت عيني ...كانت أمي شاخصة عند الباب ،وكأنها تحرسني من خطر ما ...خطر مجهول يتهددني، شعرت بالراحة ...ستظل معي ...سأنقل حاجياتها معي ، وسأضع صورها الفوتوغرافية في أركان غرفتي في فنزويلا،ولكن أين ؟...فنزويلا أكبر من هولندا بحوالي الخمس والعشرين ضعفا، بأية مدينة سأعمل !!! ...الدكتور خوزيه رجل متنفذ وسأرجوه أن أعمل في العاصمة
قال هاري –لن توافق الإدارة على طلب استقالتك من العمل.

لم أرد عليه ،من الواضح أنه يرغب في مشاكستي أو ربما الإستعانه به للتوسط عند الادارة....رددت في سرّي ..سأترك العمل بموافقة أو بدون موافقة ...لاأحد يستطيع إجباري.

عندما استلمت كتاب السفارة الفنزويلية بضرورة مراجعتهم لإنجاز الاجراءات اللازمة للسفر ،شعرت بفرح طاغ ....إتصلت بمالينا ..قالت بانها لم تفتح بريدها بعد وهي تبارك لي ...بعد خمس دقائق كانت ما لينا على الخط ،كان صوتها ينضح بسعادة غامرة ...مالينا ، تعيش وحدها بعد إخنفصال والديها ...أمها تسكن مع عامل بناء ،وأبيها يعيش مع شاعرة فاشلة استعاضت عن الشعر بالماريجوانا،وتتكسب من صنع بعض اللعب الصغيرة للأطفال...ومالينا لم تقابل أيا منهم منذ سنتين ، وبالمقابل فإنهما لم يسعيا الى التقرب منها ...وهي عموما هادئة وتفضل ان تكون بعيدة عن الآخرين وليس لديها علاقات مع الرجال ...قالت مرة، إنها تحلم بزوج يهتم بها ولا يفكر بخيانتها وتنجب منه أطفالا سعداء وأنها ستعمل على تجنيبهم ما تعرضت له.

-لقد استلمت الموافقة ، علينا أن نذهب غدا الى السفارة
-مبروك أولا ، وأنا سعيدة لأنك معي ، ولكن هل نتقدم بطلب إجازة؟
-لا ...نخطرهم فقط ...لأني لا أريد أن ألتقي بهاري الصغير ....هل تعلمين، سيكون أصغر ونحن نغادر.

إذا فإن فنزويلا ستكون مسكني خلال أيام ...كنت في الشقة بانتظار مالينا لترتيب موضوع سفرتنا الى لاهاي...لأول مرة أشعر بمسحة حزن بدأت تتسع في كياني ...سأفارق شقتي وقطع الأثاث التي عاشت معي وذكرياتي ...وهذه الجدران التي عرّشت عليها أحلامي وأنا طفلة ثم مراهقة وإمرأة عرفت طعم السعادة مع ماريو ...ماريو الذي أصبح ذكرى بعيدة ،أفتش عنها أحيانا في مستودعي السري فلا أجدها ...غريب أن ينتهي على هذا النحو حب عشناه بكل عنفوانه .
سألت مالينا عن كيفية التصرف مع الأثاث ،قالت إنها تعرف شخصا يتعامل بالمواد المستعملة وستتصل به بعد توقيع العقد في السفارة والتأكد من موعد السفر ، فهي ستقوم بنفس الخطوة .

في السفارة جرى كل شيء بيسر فقد كانوا قد أعدوا العقود ومنحونا تأشيرة الدخول وتم تحديد موعد السفر بعد أسبوع ...كان عدد المقبولات والمستعدات للسفر خمس وستين ممرضة ،كنّ بين الرابعة والعشرين والثلاثين عاما .
قالت مالينا - يبدو ان جميعهن فرحات بهذا التحول رغم انها خطوة جديدة تماما وكأنّا نقفز الى المجهول ...
ابتسمت على مضض وتابعت لنصلي للرب أن تكون قفزة موفقة ...قلت سأدعو من أجل ذلك لأني لا أصلي.
كان إسبوعا مليئا بالمشاغل ،قمت بسحب رصيدي من البنك وقدمت طلبا بالاستقالة ولكني لم أنتظر الرد وحزمت بعض ما يجب أن يكون معي في سفرتي ،ثم وافقت على المبلغ الذي عرضه الرجل صاحب محل بيع المواد المستعملة ...حاول كالعادة أن يشرح لي استهلاك الأثاث وقدمه ...قلت له ..لاتشغل نفسك إنه أمامك وأنت من يقدر سعره ...ابتسم ظافرا وربما فكّر...إنها بائعة مستعجلة وهي صيد سهل.
عرض هاري الصغير مساعدته في جمع الحاجيات وحتى إيصالي الى المطار،كان ما يزال يأمل أن يقترب مني.

شكرته وأخبرته أن شقيق مالينا سيتكفل بذلك، اتصلت موظفة من السفارة لتعلمنا أنه تم تهيئة باصات من السفارة الى المطار وهم يفضلون أن يكون تحركنا موحدا.
في أعماقها شيء ما يتحرك بالضد من تصرفها الواعي والمندفع لتحقيق خطوة عملية مهمة في حياتها ،شيء أقرب للشعور بالندم ...ربما لأنها تسرعت باتخاذ قرار مغادرة هولندا والى حد أكثر تخصيصا أن تترك أرنهم ...للشوارع هنا نكهة خاصة وهي تتلفع بمعطفها السميك وتقاوم البرد وهي على دراجتها

..البدايات كلها هنا ...مدرستها الاولى ...عملها الأول ...حبها الأول والوحيد
...كل ما لديها من صداقات ، على قلتها فهي الروابط التي تعرفها وتعتز بها.

توقفت داني عن الحديث فيما لاحت بعينيها نظرة عميقة مشحونة بأسى ،بدا واضحا إنها تتألم
طلبت القهوة ...قالت ...لا ، أشعر بمرارة في فمي ، ربما كأسا من البيرة المثلجة يخففها

-عموما ،كنت أشعر أني منقبضة وموزعة المشاعر بين القبول والتردد .
-أقدر مثل هذا الموقف
- هل ترغب أن أستمر بالحديث أم تفضل موعدا آخر ؟
- نستمر فأنا متشوق لسماع حديثك....ولن نتوقف حتى صعودك الى ظهر الطائرة
-أنت تذكرني بقصص الف ليلة وليلة
-وهل قرأت الكتاب ؟
- نعم ولكن باللغة الاسبانية إذ تعرفت عليه في فنزويلا ، ولكن الترجمة لم تك دقيقة ، هذا ما قاله في حينه صديق لبناني يعمل في كركاس وأخبرني أنه يكتب الشعر...بالمناسبة معظم اللبنانيين يكتبون الشعر ...أهو سحر الشرق ؟
-ربما
-حسنا ..اتصلت ملينا لتخبرني إنها مستعدة لأن نغادر غدا سوية الى لاهاي ..حددنا ساعة اللقاء على نحو يسمح بالوصول الى السفارة الفنزولية قبل ساعة من موعد المغادرة الى المطار...

في القطار الصاعد الى لاهاي شعرت بأني مغادرة فعلا ...تطلعت الى الاشجار وهي تمرق لتستقر وراء القطار المتسارع، والى الحقول الخضراء وقطعان الماشية، وبعض العابرين بدراجاتهم على الطرق الزراعية ...كنت أرغب أن أتزود بخزين إ ضافي من الذكريات....لم نتحدث ...

في لاهاي أخذنا المترو حتى باب السفارة ...كانت قد سبقتنا بضع فتيات ..والى حائط السفارة ، رصفت حقائبهن ،أحد موظفي السفارة طمئننا بأن الباصات ستتحرك في موعدها

اقتربت مني فتاة تحمل ملفا وحقيبة تضعها الى صدرها
- الانسة مغادرة الى فنزويلا ؟
كان بودي أن أحسبها نكتة لأرد عليها ، ولكني أحجمت فقد كانت جادة تماما

- نعم
- اعذريني لتطفلي ولكني أجدك قريبة بابتسامتك المشجعة
- شكرا
- في الحقيقة انا في حيرة ...نحن ذاهبون الى فنزويلا وأنا لا أعرف من هو رئيس الوزراء الفنزويلي ...سألت العديد ولكن أحدا لم يعرفه
- ولكن ما هي العلاقة بين كونك متعاقدة كممرضة وبين رئيس الوزراء ؟

ارتبكت الفتاة وضمت حقيبتها بقوة الى صدرها.

-بالتأكيد ليس هناك من علاقة مباشرة ..ولكن الأمر يتعلق بأن علينا أن نعرف بعض ما يتعلق بالبلد الذي سنعيش فيه ..أليس كذلك ؟

- لا ..ليس كذلك وليس بالأكيد ولكن بالقطع
- آسفة عزيزتي ربما سببت لك مضايقة ...اعتذر بشدة.

كانت مالينا تنصت ، فيما ارتسمت على شفتيها إبتسامة ساخرة ...قالت أنا لاأعرف من هو رئيس وزراء بلجيكا وهي على الحدود.

شعرت أني قد عاملت ، زميلتي بعد أيام ،بقسوة ....من الواضح أنها ما تزال بحاجة الى الكثير من الخبرة.

قالت مالينا :إنهم يجمعون جوازات السفر قبل الصعود الى الباص .
قال الموظف الذي كان يقف عند الباب :أرجو أن تحرصن بالتحرك كمجموعة واحدة، سأرافقكن في الطائرة وحتى مطار كركاس .

كان يتكلم الهولندية ولكن بلكنة إسبانية متسارعة ...الأجانب يتكلمون لغة البلد الذي يسكنوه ، بلكنة لغتهم الأم ....جاءنا طبيب من الهند للتدريب لمدة ستة أشهر ،وخلال ثلاثة أشهر كان يتفاهم على نحو مقبول باللغة الهولندية ،ولكن حديثه كان طريفا ...كان يصوغ الكلمات بطريقة عجيبة ويهز رأسه باستمرار ...قال ماريو ..إنه يعيد الهولندية الى جذورها الأسيوية من جزر الهند الشرقية والخليج العربي ، حين استقر البحارة والتجار الهولنديون في تلك الأراضي...كما تعطي فإنك تأخذ .

كانت رحلة طويلة ومتعبة استغرقت حوال 14 ساعة وتوقفت الطائرة في مدريد ثم واصلت مباشرة الى كراكاس.
تعرضنا لمطبات هوائية ونحن نعبر المحيط ، وكان صراخ الممرضات يتعالى مع كل مطب ،رغم محاولة المضيفات التهدئة ومحاولة بث الطمأنينة ، معظمنا لم يكنّ قد جربن السفر بالطائرة

مطار كراكاس الذي وصلناه في ساعات الصباح الاولى، كان متعبا ولم تك الخدمات الأرضية مناسبة فقد جلسنا في القاعة الرئيسة أكثر من ساعة ليقدموا لنا قهوة باردة ..قالت ميليا ..الناس هنا يستخدمون الجمل الطويل ،، اسم المطار على واجهة الجدار المقابل لقاعة الانتظار طويل جدا ...سألت المرافق ،قال ..لابأس يمكن أن تسميه (باي كويتا) وسيفهم سائق التاكسي أنك تقصدين المطار الدولي ....قالت الفتاة التي سألتني عن إسم رئيس الوزراء ...يالله كم هو صعب هذا الاسم ...اعتقد إن من الأفضل تقطيعه حتى يسهل حفظه ...ماركوس بيريز جي مي نيز....أليس من الأفضل لو أسموه جيمي .. وربما سيكون أكثر وسامة لو قصوا شاربه....قلت ..لم نتعارف ...إسمي داني أما إسم العائلة فهو قريب من جي مي نيز ، إنه فان بروخ ...

قالت -أنا كارولين سيمونز ...صافحتني بحرارة ..

قلت- وهذه صديقتي ميلينا ...

قالت ميلينا -أهلا كارولين ...

كانت كارولين تتحدث بشراهة ...قالت أنها من قرية قريبة من مدينة خرونينكا ...أبوها فلاح وأمها تعتني بمزرعة الابقار...وهي تحب الشعر وتقرأ للروائيين الامريكان وعلى وجه الخصوص أرسكين كالدويل ...هل قرأتما له ؟ قالت ميلينا ..أنا حتى لاأعرفه ...قلت ..لقد سمعت به من صديق ...ولكني أفضل دستويوفسكي...ردت كارولين بحدة ...لاأحب الكتاب الروس ..إنهم يتحدثون عن الفقراء وعن العصاب ومشاكل متدنية

قال مرافقنا- آنساتي ، لقد تم ختم الجوازات وعلينا أن نذهب الى السكن المخصص لكنّ ...قال مدير المستشفى ،أنه يقدر صعوبة الرحلة ولهذا فسترتحن اليوم في غرفكنّ ، صباح الغد سيتم توزيعكن على المستشفيات والأقسام ، جميعكن ستعملن في العاصمة، قال مرافقنا ...الى اللقاء فقد انتهت مهمتي ...بالنجاح .....في الطريق الى السكن ، كانت ترافقنا موظفة من المستشفى ...تحدثت معنا باللغة الانكليزية ..قالت بأن السكن ،بناء ملحق بالمستشفى وهذا يجنبنا مشاكل المواصلات ، كما اعلمتنا بان الغرف صغيرة ولكنها لشخص واحد ، أما المرافق فهي مشتركة ...

ونحن ننعطف الى الشارع الرئيس المؤدي الى المستشفى ، كانت مظاهرة صاخبة تتقدمها أعلام مختلفة الالوان.... يهتفون بالاسبانية بسقوط رئيس الوزراء ...

قالت كارولين -إذا حدث هذا سيوفر التدرب على حفظ اسمه ..

.قالت مالينا لماذا يشغلك اسمه...؟

قالت كارولين ..من باب معرفة سياسة البلد ...

قلت ..بدأت تصبحين أكثر واقعية!

ابتسمت كارولين وقالت -.كم سيسعدني أن نكون صديقتين .....لم أرد ...ورحت اتطلع الى اللافتات المرفوعة واترجم لمالينا مطالب المتظاهرين .

قالت مرافقتنا - ستتعودن على المظاهرات والاحتجاجات التي قد يشارك فيها عمال المستشفى .
لم تتدخل الشرطة ،التي كانت تراقب المتظاهرين وأكتفت بدفع الخارجين عن الصفوف المتحركة الى الداخل ،لتحمي المحال التجارية
قالت كارولين -إن منظر الرجال بشواربهم السوداء وسحناتهم الغاضبة يوحي بالمهابة
قالت المرافقة -إذا ما صادفتكن مظاهرة ،إبتعدن عنها وتفرجن من بعيد
قلت : هذا يعني أن المظاهرات ظاهرة متكررة في كراكاس!
قالت :نعم ، الرئيس لا يترك الحكم طواعية ...نحلم بالديمقراطية
قلت :بالديمقراطية أو بدونها ، الحياة مستمرة
قالت : فرق !!!

بدت المدينة وكأنها تعيش بحضن الجبال المحيطة بها ...لم أشاهد مثل هذا الإرتفاع الشاهق الذي تكسوه خضرة متماسكة بحيث تبدو وكأنها مكسوة ببساط مدهش ، كما تعلم فبلدنا عبارة عن سهل متماثل ، ومثل هذه التضاريس لابد أن تلفت إنتباهي .

قالت مرافقتنا -في العطل ، يمكن التمتع بالبحر .....وراء الجبل مباشرة يقع الكاريبي.

توقف الباصان اللذان يقلان الممرضات ،والتفت معظم الرجال في التظاهرة الى الشبابيك الزجاجية التي تطل من خلفها وجوه بيضاء وسحنات مسترخية وعيون ملونة ، كان بعض الشباب ينبه بعضهم للتطلع نحونا....
قالت المرافقة التي تحتل المقعد الأمامي، موجهة كلامها بالاسبانية الى السائق
-عشر شقراوات أفضل من مئة شرطي...
قال السائق - وتتوقف حركة المرور ....
قلت بالإسبانية - وستحتاجون الى مئتي شرطي لضبط الموقف ....
تفاجأت المرافقة ...وقال السائق ...اللعنة ..ورسم الصليب

بدأت أشعر بالتعب واللامبالاة ، أغمضت عيني والقيت برأسي الى مسند الكرسي
...قالت ماليا -نحن الان على بعد اكثر من سبعة آلاف كيلو متر عن هولندا .
قلت دون أن افتح عيني - ما زلت أرى مزارع الزهور ونحن نمر بالقطار.
قالت كارولين -أنا سعيدة لأني في عالم جديد كلية

قالت المرافقة: يمكنكن النزول ولتأخذ كل واحدة حقائبها ...ستنتظرن قليلا في الصالة لحين تسليم كل منكن مفتاح غرفتها .....طابت ليلتكن

كانت البناية ،التي تقررأن نسكن بها مكونة من طابقين ،حسنة المظهر ويبدو أنها حديثة الإنشاء ، تمتد على شكل حرف لام ، أمامها حديقة معتنى بها مليئة بشتلات ورد الجوري بألوان مختلفة ،وما أدهشني شذى عطر خفيف يملآ الجو المحيط بالبناية ...

على امتداد المبنى بواجهته الأمامية رصيف بعرض أربعة أمتار مرصوف بحجر رصاصي غامق،والبوابة الكبيرة من خشب ثقيل يرتفع حوالي ثلاثة أمتار وكان حديث الدهان فقد كانت رائحته ما تزال قوية

المدخل العاري، كان مرصوفا بمرمر رصاصي معرق ، يتوزع المدخل الى ثلاثة إتجاهات ، ألأول ، المواجه للباب ،الى سلم للطابق العلوي ، والآخران ، أحدهما الى اليمين والثاني الى الشمال ، وتتوزع الغرف على الجانبين ،قالت لي فتاة ،نصف زنجية ،تحمل حقيبتي بعد أن سألتني عما إذا كنت أعرف الإسبانية .

-المبنى جديد وأنتم أول الساكنين، بلدنا الآن يحصل على ملايين الدولارات من الشركات العاملة في إنتاج النفط..أقل من عشرين في المئة للإعمار وثمانين بالمئة للسرقات ... وأنتم في هولندا ...ألستم من هولندا أم من إسبانيا
.قلت -من هولندا ....
قالت -حمدا للرب فأنا لاأحب الإسبان ...احتلوا بلدنا سنوات طويلة
قلت- وكانوا قد احتلوا بلدنا أيضا .

وضعت الحقيبة على الأرض ووضعت كلتا يديها على صدرها وقالت بصوت فزع

-هولندا أيضا ...المستعمرون الشياطين .....تابعت ...أنا أعمل مع منظمة الشبيبة ...هل تعرفت عليها ؟
قلت -لا فأنا لا أميل للعمل السياسي ...أنا لاأعرف الأحزاب الهولندية فكيف سأتعرف على منظمة للشبيبة الفنزوليه....
قالت- المنظمة تتبع الحزب الشيوعي الفنزويلي...

أدارت المفتاح في قفل الباب وفتحت الضوء...كانت الغرفة صغيرة ...سرير حديدي ...براد صغير ...مكيف هواء ...منضدة الى الشباك الذي يشرف على الحديقة الامامية، وكرسي خشبي مقعده مكسو بغطاء جلدي أسود ...على الجدار المقابل للسرير لوحة كبيرة منسوخة عن إحدى لوحات بيكاسو ....:على الجانب خزانة ملابس بظلفتين والى جوارها مغسلة صغيرة فوقها مرآة .....كانت الغرفة نظيفة ...
قالت الفتاة -أرجو أن تستمتعي بإقامتك وبعملك ...ونصيحتي ألا تخرجي ليلا ... فنزويلا قبل النفط غيرها بعد النفط

لم أعلق شعرت بالتعب وبدوار خفيف...حين انصرفت الفتاة ، وضعت رأسي على الوسادة و غفوت ...مرت بي أحلام متنوعة ، بعضها ذكريات قديمة وأخرى عن مشاهداتي وأنا في القطار ...وكان أبي يبتسم وهو يقف على جسر أرنهم.....

حين توقفت عن الحديث بدت متعبة
قالت : لقد تعبت ...أرجو أن تجد الوقت الملائم لنستكمل الحديث
قلت :شكرا سيدتي ...نعم سأتصل بك لتحديد الموعد المناسب.

الفصل الرابع

أحلك الساعات كثيرا ما تسبق انبلاج الفجر

شارلوت برونتي

تعذّر عليّ خلال اسبوعين أن أرتب موعدا مع (داني)، فقد كنت أعاني من نزلة برد حادة رافقها ارتفاع في درجة الحرارة ،ألزمتني الفراش ...لم يكتب لي طبيب العائلة سوى(البرستمول) وعلى أن أتناول حبتين مع كل وجبة طعام وأن أحرص عل تناول سوائل حارة واتجنب الخروج من البيت ، النظام العلاجي في هولندا يعتمد على المناعة الذاتية ويمتنع الأطباء عن صرف أية مضادات حيوية ، وهو نظام يعمل على نحو مغاير تماما لما عهدته في العراق ،حيث يتم صرف المضادات الحيوية أو لا، و يصر البعض على تناول الحقن بهدف سرعة الشفاء ، وهذه يتم شراؤها مباشرة من أية صيدلية.

في حوالي الثانية عشر كانت داني على الخط الهاتفي....استغربت صوتي المبحوح ...واعتذرت لأنها ربما اتصلت بوقت غير ملائم ...حين علمت بمرضي ،عرضت أن تحضر ...قلت لها إني في طريقي الى التحسن ...اتفقنا على أن نلتقي بعد ثلاثة أيام في مطعم مكدونالد.....أعطتني العنوان ,وتمنت لي الشفاء ، وشددت أن أتصل بها قبل تحركي الى أرنهم .

كانت داني رغم سنواتها الثلاث والثمانين ، ما تزال رشيقة ومنتصبة القامة ، تهتم بمظهرها، فشعرها كلون النبيذ الجزائري الأحمر ..ووجها يحمل آثار مواد تجميل خفيفة ، وهي تعتني بمشيتها الهادئة والمتوانية ،فيما يلوح طيف ابتسامة مرحة تملأ وجهها ، والى ذلك فهي تشعرك بأنها متحفظة ومجاملاتها رسمية

قالت : نحن انتهينا عند سرير نومي في مستشفى الكينكو ، وهو إختصارا للاسم الرسمي الطويل للمستشفى باللغة الإسبانية، ولابد أن أشير الى إن الفنزويليين يبتعدون عن استعمال الأسماء باللغة الإسبانية المطولة عادة ، ولهذا فهم صنعوا لها مختصرات سهلة .

المستشفى تابع لجامعة كركاس التي تم انشاؤها عام 1721 ....اما المستشفى فقد بوشر ببنائه في عام 1951 ،ولهذا فحينما جئنا ،كان كل شيء يتوهج نظافة وتنظيما ككل جديد !
كان الإفطار في الساعة السابعة صباحا ...صالة المطعم أنيقة ،ومغلفة بورق جدران بزهور متنوعة طغى عليها اللون البنفسجي...الفطور كان تقليديا ، في الثامنة كان أحد موظفي المستشفى يدعونا للقاء مع المدير للتعرف على واجباتنا، حرص الموظف أن يتحدث بلغة انكليزية متكلفة .

كنت أرى أن الانطباع الإول الذي يتكون لدى الاخرين عنا ،يكون من السهل البناء علية إن كان إيجابيا ، لهذا حرصت أن أبدو بمظهر طبيعي ...قليلا من مواد التجميل ...بنطال خفيف بسبب حرارة الطقس قياسا بهولندا ...بلوز فاتح اللون أقرب للفوشي ...حذاء بدون كعب ...وربطت شعري الطويل الى الخلف وحرصت أيضا أن أحمل دفترا صغيرا لتسجيل مفاصل الحديث الذي سأسمعه.
قالت كارولين التي وضعت الكثير من الكحل في عينيها : تبدين كطالبة ثانوي
قلت : ربما . ولكن في هذا الجوالخانق ، لابد من التخفيف في مواد التجميل

في صدر القاعة كانت منضدة مستطيله جلس خلفها أربعة أشخاص ، أمام كل منهم قطعة كارتون عليها الإسم وعنوان الوظيفة ...كان الدكتور مدير المستشفى والدكتور رئيس قسم الجراحة والدكتورة رئيسة قسم الولادة والأطفال والدكتور رئيس قسم التخدير
وزعت علينا ونحن ندخل القاعة ،قوائم باسمائنا مؤشر أمامها القسم الذي تم تنسيبنا له ....كنت في قسم الجراحة
قالت كارولين -عظيم ، هذا ماكنت اتمناه ...قسم الولادة والاطفال
قالت مالينا -سأكون في قسم العيون ....كنت اتمنى أن نعمل معا !

رحب بنا مدير المستشفى وتحدث عن أهمية وجودنا وعرض الإستعداد لأية مساعدة وتمنى أن نشعر أننا في مستشفى بهولندا ....كنا ننصت بانتباه شديد وهو يتكلم بانكليزية واضحة ويحرص على أن يضبط مخارج الكلمات قال ،بأنه يعلم بأن الممرضة الوحيدة التي تتكلم الاسبانية هي الآنسة داني فان بورخ ، وقد قررنا أن تلتحقن بدورة لغة مكثفة لمدة ساعتين يوميا بعد انتهاء الدوام ...
بدأ صوت ملتبس ومتداخل يقتحم القاعة ، دخل رجل أمن ليوشوش مدير المستشفى ...جمع أوراقه وطلب من الجميع المغادرة ...كانت الساعة التاسعة صباحا ...سمعت أحدهم يقول الطلاب يتجمعون للقيام بمظاهرة ... سادت حالة من الفزع الذي حلّ على وجوه الممرضات بدلا عن الاهتمام والتركيز....دخل طالب يرتدي رداء أبيضا وهو يسوي خصلات شعره التي تتقافز على جبينه.

-لا داع للقلق ....هل تتكلمن الاسبانية ؟
قلت :أنا فقط
قال :حسنا آنستي ترجمي لزميلاتك ...نحن لن نتعرض لكنّ ...الجامعة دخلت اليوم بإضراب مفتوح
قلت : لماذا ؟

قال :ضد الحكم الدكتاتوري الذي يتزعمه الجنرال ماركوس بيريس جيمينيز...حكم الفساد والعمالة
قالت كارولين بنزق -ضد جيمي.

نظر الطالب نحوها بغضب فقد شعر انها تسخر منه وتقدم منها ، رجوته أن لا يتسرع وقلت - إنها لاتقصد التقليل من شعارات الطلبة .

صعدنا الى شرفة الطابق الثاني بدافع الفضول ، كانت الساحة الواسعة بين المستشفى والجامعة تعج بطلبة غاضبين ....كان بعضهم ينتظم بصفوف وراء لافتات متنوعة ....تقدمت نحوي الفتاة نصف الزنجية
-من الافضل عودتكن الى السكن
-ولكن ماذا عن الإجتماع
-أي اجتماع ....لقد غادرت إدارة المستشفى ...المدير إبن شقيقة الجنرال ماركوس ، وبعد قليل ستنظم الى مظاهرة الطلبة ،منظمة الشبيبة ...منظمتنا.

قالت الجملة الأخيرة باعتزاز.

في السكن كنا نشعر بحيرة بالغة ، فنحن بعد حتى لم نتسلم عملنا ...كيف يدار البلد بمثل هذه الفوضى ...قالت مالينا ...سمعنا أصواتا عالية متداخلة وصوت وقع أحذية ثقيلة ،ومن ثم أصوات اطلاقات ....شعرنا بخوف وبشكل لا واع اقتربنا من بعضنا ....قالت كارولين ...أريد أمي ...قلت ...إهدئي لاعلاقة لنا بكل ما يجري ...إذا استمر الموضوع حتى الغد سنتصل بالسفارة الهولندية.

بدأت الضجة تخفت ...دخلت الفتاة نصف الزنجية وهي تشتم بكلمات حادة ...لقد تدخلت أجهزة الشرطة السرية للجنرال ماركوس وأصابت العديد من الطلبة بجروح خطيرة وأعتقلت من تعتقد أنهم من قيادات الطلبة وفرقت الباقين، ولكن الخسائر الكبيرة كانت بين أعضاء منظمة الشبيبة خارج الجامعة ...هكذا الحال دائما من الحزب الشيوعي
قالت الممرضة ميشيلا –والحزب الشيوعي هنا أيضا ...في أي مصيبة أنا أيها الرب
قالت الفتاة :في مصيبة الدكتاتورية ، لقد احتل الجنرال العاصمة كاراكس بالدبابات ونحن واثقون أنه لن يخرج إلا بالدبابات ...المظاهرات عملية عبثية،الدبابات هي الحل
دخل ضابط شاب ...كان منظره مخيفا بكل ملابس الحرب ...برفقته طبيبة من المستشفى

قالت الطبيبة-يؤسفنا أن يحصل هذا في أول يوم لكنّ هنا ، ولكن كل شيء إنتهى الان ...يمكنكن تناول القهوة في الكفيتريا لحين مجيئ ممرضة من كل قسم سترافق المنسبات له ....يمكن أن ترافقنني.

لم نرد ، تبادلنا النظرات بإستغراب وتبعنا الطبيبة ، كانت الكافتيريا لصيقة بقاعة الإجتماعات ...رائحة القهوة تعبق في المكان ،وبضع منتسبين من الأطباء والممرضات وموظفي المستشفى يتناولون القهوة بصمت ...قالت الطبيبة وهي تبتسم : لا يغرنكنّ هذا الصمت ، إنه حالة استثنائية ، الفنزويليون مولعون بالحديث بصوت عال
قال الضابط :إسمحي لي سيدتي
هزت الطبيبة رأسها موافقة وقالت :لغتي الانكليزية محدودة ،هل من تعرف الإسبانية
ردت كارولين :داني ...أعني الممرضة داني
تقدمت نحو الطبيبة :نعم سيدتي يمكن أن أتدبر اللغة.

- حسنا ، هذا يريحني،كما قلت سيقدمون لكنّ القهوة أو الشاي وبعد دقائق سيحضر من يصحبكن الى الأقسام ،كلّا حسب ما مؤشر إزاء اسمها ....وسيتم التعريف أولا بالمهام والواجبات ...كما أرجو أن تشرحي لزميلاتك أن العمل في البداية سيكون صعبا بعض الشيء ،فالمرضى لجوجين وطلباتهم لاتنتهي ...إنها ايضا انعكاس لحالة المشهد السياسي المليء بالتناقضات والعنف وعدم الإستقرار

حاولت أن أقطع استرسالها في حديث سياسي لا داع له
-أتفهّم وزميلاتي هذا الوضع ، وسوف لن يزعجنا ، فنحن مدربات على العمل في ظروف معقدة
-جميل ، هذا يسعدني وسأنقله للدكتور سالاس...إستدركت السيد المدير

تطلع نحونا ، الجالسون وكأننا من كوكب آخر فقد نبه بعضهم زميله الذي كان ما يزال يتطلع الى ساحة التظاهر ، بشيء من العنف وهو يلكزه بخاصرته بحيث أطلق صرخة مكتومة .

تقدم نادل كان يقوم بجمع الفناجين -يمكن أن تجلبن طلباتكن مباشرة ....وأشار الى مكائن القهوة وهو يغمز بعينه .

دعوت زميلاتي وتقدمتهن ....كانت قهوة برازيلية مركزة وحادة ...قال العامل وراء الحاجز الذي يفصله عن الزبائن ، وهو يلحظ ما ارتسم على وجوهنا كردة فعل لطعم القهوة الذي لم نعتده ...ضعن قليلا من الحليب .

كنت أتطلع في الوجوه التي تشاغل أصحابها بحديث بدا جادا من حركة الأيدي المستمرة وتعابير الوجوه ...قال رجل في الستين ، عرفت فيما بعد أنه أستاذ في الجامعة وأحد اعضاء حزب العمل الديمقراطي الذي ينتمي اليه الجنرال جيمينيز ،....إن من السهل الهدم ...علينا جميعا أن نبني ...قال أحد الجالسين والذي لم أتبينه ..نبني لمن ؟ لتزداد ثروة جيمي ....ضحك بعض الحاضرين بصوت عال وكأنهم يعربون عن تضامنهم .....بدأت أدرك عمق التناقضات في البلد وقررت أن أكون حذرة في علاقاتي مع الذين سأعمل بمعيتهم أو الذين قد أضطر للحديث معهم
وقفت ممرضة فنزويلية ،خمنت انها من أصول هندية ،نادت باسمي فتقدمت نحوها
-أهلا بك في (هوسبيتال كلينكو دي كاوداد يونيفرستاريا) ...يمكن أن تختصري الاسم الى العيادة في جامعة كاركاس
-شكرا ...يمكنني الحديث بالاسبانية
كانت تسبقني بخطوتين ...توقفت والتفتت نحوي....

- هل تعلمين ....لم أتقن الإسبانية إلا في كلية التمريض ...كانت لغتي المشتقة من اللغة الهندية والتي نستعملها في قبيلتنا مسيطرة على لساني لدرجة أني كنت خائفة أن لا أستطيع التواصل مع زملائي الطلبة ...أين تعلمت الاسبانية؟
- أثناء دراستي في الثانوية
- وهل هي الزامية في هولندا؟
- لا ، هناك اختيار بين عدة لغات ،فضلت الإسبانية وبالطبع الإنكليزية.

مرّ الشهر الأول على نحو لم أتوقعه ، فقد أصبحت على علاقة طيبة بالمرضى بحيث أن العديد منهم كان يعود بعد أن يغادرنا وهو يحمل أكياسا من الخضروات وبعض الصناعات الحرفية المصنوعة في المنازل
كانوا يتركون هداياهم في قسم الاستعلامات وعليها .... (الهولندية داني) وبعضهم كان يكتب (أختنا الهولندية داني) .
كنت أطلب من الاستعلامات أن يوزعوا الهدايا على الممرضات والعمال في المستشفى
قالت الفتاة نصف الزنجية: المرضى من مناطق الرانشو يسموك القديسة ،وبعضهم أطلق على المواليد الجدد أسم داني
قلت :أنا لم أتعرف على إسمك

قالت:كارجيا
- ولكن ماهو الرانشو؟
- أنه الأكواخ خارج العاصمة ...العشوائيات غير المرخصة .....تابعت
- كل الحكام يتعهدون بمساعدتهم ولكن لم ينفذ أحدا منهم تعهده
- حسنا كارجيا ...هل يمكن أن ترافقيني في إجازتي القادمة لزيارة أسواق كركاس
- نعم سيدتي

بدا عليها انطباع خليط من الفرح والسعادة ...
قالت :لو نذهب أيضا الى منطقة الرانشو التي أسكن بها ....سيكون هذا يوم عيد ...عيد حقيقي ... وسيعرف الجميع أني صديقتك ...شكرا أيتها السيدة

لفد وجدت في خدمة هؤلاء الناس فرصة حقيقية لتأكيد الجانب الإنساني في العمل المأجور ...كنت أظل أحيانا في العمل رغم انتهاء نوبتي ،وقد لحظت أن بعض الممرضات الفنزويليات يهملن ويتعمدن عدم تلبية مطالب المرضى ...كان ذلك يسبب لي ألما ، ولكن لم يكن في وسعي أن أتحدث عن ذلك معهن، بدأت أتعرف على الطبيعة المرحة والمنفتحة والحية لشعب فنزويلا ،فرغم إرتفاع نسبة الفقر وشعور المجموعات المثقفة بالإحباط ،ومظاهرات الطلبة التي لا تنتهي ، ومداهمات الأجهزة الأمنية المستمرة بدافع الخوف من الانقلاب، كان الجميع على استعداد للرقص والغناء ...
في الساحات العامة ....على رأس شوارع كركاس كنت تشاهد حلقات الشباب وهم يغنون ويرقصون بمرح ،قالت كارجيا ...الرقص هو المعنى الحقيقي للحياة .

ليلة سبت ، دعينا لحفلة زفاف أحد الأطباء الشباب ...كانت حفلة هادئة في بدايتها،الجميع على موائد دائرية عليها شراشف بيضاء تتوسطها قناني نبيذ أحمر ...بدأ مغن شعبي يتحدث عن الحب بلوعة وبحزن وهو يعزف على كيتار،ويضرب الأرض بقدمه بقوة وشاركه الجمهور بالتصفيق الذي يصاحب أغاني الفلامنكو ....تقدت فتاة لترقص ...تبعها بعض الجالسين ...كان الرقص الكاريبي القوي حيث يتلوى جسد الراقصين على نحو يحتاج الى تدريب طويل والى قوة جسدية ...شاركتهم كارولين وبعضا من زميلاتنا.....في حوالي منتصف الليل ، لحظت حركة غير اعتيادية ،حين دخل شخصان بملابس متشابهة ..قميص أزرق بنصف كم وبنطال بلون سمائي فاتح..

قالت كارجيا وهي تهمس في أذني -الشرطة السرية ، إنهم يتأكدون من عدم التعرض (لجيمي) في الغناء...

.قلت -ولكنها حفلة عرس ...!!
قالت - مناسبة ! ...في الأعراس كما في العزاء تتوفر فرصة لشتم الحكومة ...وبعض المغنيين الشعبيين يجيدون ذلك ...سترين بعد قليل حين يقوم المغني بأداء بعض أشعار لوركا ...إنها تشتم الحكومة ببراءة .

قالت كارجيا :سنذهب أولا الى السوق الصيني ومن ثم الى السوق الهندي وبعدهما سأريك الرانشو
كنا في يوم ثلاثاء ..كانت الأسواق مزدحمة بالمتبضعين والمتسكعين، والبضائع الصينية الرخيصة ،ومعظمها لعب أطفال وبعض السلع مما تحتاجه ربّات البيوت...أما السوق الهندي ،فقد كان يعج بالأقمشة بالوان فاقعة وزخارف متنوعة ،لم أشتر شيئا فقد وجدت المعروضات لاتتناسب وذوقي ....

كان الجو حارا ،كالعادة طوال السنة ، حيت لاتنخفض دون 26 ولاترتفع عن 35 مؤي ...شعرت أني أتصبب عرقا ...اشترت كارجيا منشفة قطنية لتساعدني في مسح وجهي
قالت :سنذهب الى الرانشو.

في التاكسي لم نتبادل الحديث ولحظت أن السائق قد عدل من وضع المرآة أمامه ليتطلع نحونا...كانت الأكواخ المبنية من مواد متنوعة تكشف عن مستوى الفقر في هذا الجزء من المدينة ...السقوف منخفضة والأبواب المصنوعة من مخلفات قطع خشبية ربطت الى بعضها بطريقة بدائية وبعضها من الصفيح،تصدر صريرا حادا عند الفتح أو الإغلاق ..الأزقة ضيقة تتوسطها مجار مفتوحة لمياه الأمطار والصرف الصحي ،تنبعث منها روائح لايمكن التكهن بنوعيتها ....ولكنها قطعا كانت عطنة
قالت كارجيا:هنا تنمو الثورة ،ومن الغريب إن الحكومة لاتهتم بها للتخفيف، على الاقل، من تسارع هذا النمو
تجمع بعض الأطفال حولنا ،نهرتهم كارجيا ولكنهم لم يبالوا، كان البعض ينادي على رفاقة ليخرجوا لمعاينتي ...تقدمت امرأة في الخمسين ...كان شعرها خليطا من الأبيض والرصاصي والإحمر ...
-من ...ابنتنا داني !كيف جئت ...تفضلي
قالت كارجيا -سيدة راموس ، لايمكننا التأخر ولكني أعدك بأن أرتب لزيارتك.

لم ترد المرأة ولكن انطباعا بالاحباط ملأ وجهها

قالت كارجيا-سأريك مقر الشبيبة التي أنتمي لها

-تقصدين الحزب الشيوعي!
ابتسمت بتخابث...

كان مقر الشبيبة ، بناء متهالكا ...في الوسط ،ساحة ضمت بضعة كراسي قديمة متنوعة ،وكان في إنتظارنا مجموعة من الشباب بعضهم أقرب الى سكان الشرق الأوسط ،وجوه حنطية تتوسطها شوارب كثة وملامح دقيقة ومتناسقة ،وآخرون، واضح أنهم من أصول تعود للهنود الحمر وبعضهم يحملون مواصفات جنوب شرق آسيا
قالت كارجيا:أعزائي أقدم لكم أختنا داني الهولندية ،كما يدعوها سكان الرانشو في كل محيط كركاس
صدرت كلمات ترحيب من الحاضرين، وبدا أنهم مهتمون بحضوري ، وهذا ما جعلني أخمن أن كارجيا قد رتّبت لهذا اللقاء مما جعلني أشعر بالضيق ، فأنا لآ أريد أن أحسب على جهة سياسية في بلد يعج بالتناقضات الحادة من جهة، ولأني غير مهتمة بالعمل السياسي من جهة ثانية
قال شاب مكتنز الوجه :نحن هنا من مختلف شرائح المجتمع الفنزويلي ، نرحب بك سيدتي في مقرنا المتواضع ونرجو أن تحدثينا عن هولندا ...المجتمع ، السياسة ، النظام
تقدمت الى المنصة وأنا أتطلع للعيون الشاخصة نحوي ، إنهم يأملون أن يسمعوا حديثا قريبا الى نفوسهم
-أنا داني فان بورخ ...كان أبي عضوا في المقاومة الهولندية ضد الإحتلال النازي وكان قريبا من تنظيمات الحزب الشيوعي
بدا شيء من الإرتياح على وجوههم ، وهز بعضهم رأسه مرحبا
تابعت – وأمي كاثوليكية محافظة ، أما أنا فليبرالية بوجه العموم
أعمل في التمريض منذ تخرجي من المعهد ...وأنا هنا للعمل كممرضة في مستشفى الجامعة الفنزويلية المركزية....أشكركم على هذا الاستقبال الجميل، واسمحوا لي أن أغادركم لأني مرتبطة بمواعيد أخرى

في الطريق كنت صامتة ،وربما أدركت كارجيا أني لم أكن راضية عن هذا اللقاء المفاجئ والذي لم يكن ضمن مخططي
قالت أخيرا –يؤسفني سيدتي ...لقد كنت أعتقد أنك سترحبين باللقاء !
قلت-مرة أخرى لا ترتبي لشيء دون إعلامي ...مثل هذه المفاجئات تربكني
قالت - سأعمل بهذا .

كانت كارولين في الصالة منهمكة بقراءة قواعد اللغة الإسبانية ، فيما تقضم تفاحة بشيء من العصبية

-مرحبا
-أين كنت؟
-في السوق
- لماذا يخرج الجميع دون أن يسألني أحد
-كنت أعتقد أنك في المناوبة
-حسنا ..هل لديك فسحة من الوقت لمساعدتي لفهم هذه القواعد اللعينة...كان يجب أن أخرج في موعد مع الطبيب رامون ولكني نسيته تماما ...القواعد مغايرة تماما لما أعرفه عن الهولندية ....
- بالتأكيد ولكن إنتبهي الى أن اللغة الهولندية حديثة
-هذا لايصنع الفرق ، نحن نفكر بطريقة مغايرة
دخلت مالينا وهي تحمل كتابا قالت – هل استمتعت في جولتك ؟
- الى حد ما ، ولكن ماذا تقرأين
- رواية فنزويلية مكتوبة للأطفال بعمر 14 سنة
- طريقة سليمة لتعلم اللغة

قالت كارولين – سأترك القواعد واتعلم مفردات ...لقد بدأت التفاهم مع المرضى وهذا يسعدني.

حين صعدت الى غرفتي شعرت بإعياء مفاجئ ...استلقيت على السرير..ربما حرارة الجو وكمية العرق الناضح من جسدي والإنفعال في لقاء الشبيبة ،كلها وراء هذا الإجهاد، تحت الماء المتدفق من رشاش صغير معلق على حامل معدني ، شعرت يالراحة

لا أدري كيف غفوت ...ولكن طرقا خفيفا مستمرا على باب غرفتي ، إسترجعني الى الصحوة ، كانت كارولين

-آسفة لإزعاجك ...ولكني أحتاج مساعدتك
- لابأس ..تفضلي
-الطبيب رامون في الأسفل وهو مصر أن أصحبه الى بار ياباني قريب ، وأنا مترددة في الخروج معه وحدي...هل تعملين معي معروفا ونخرج سوية؟

فكرت أنها فعلا بحاجة الى المساعدة ، كما أن رغبتها بأن تصحب معها أحدا يعبر عن حسن نواياها

- لابأس سأغير ملابسي ، إنتظريني تحت
- لن أنسى لك هذا ...نحن جميعا سعداء لأن لنا أختا كبيرة مثلك

كان رامون طبيبا حديث التخرج على شيء من الوسامة ويملك روحا مرحة تتسم بالسخرية أحيانا ، قال أنه ينتمي من جهة أبية الى الإمبراطورية الإسبانية العظيمة التي كانت تحتل نصف العالم ،أما أمه فهي من سكان البلاد الأصليين ، فهو سليل

مركب من كبرياء الإمبراطورية ومن هزيمة الهنود الحمر...أنتم الهولنديون لم تتعرضوا لهذا الخليط العجيب كما أعلم
البار الياباني ، مزين بلوحات من القماش عليها صور لبوذا والبلاط الملكي وبعض النباتات ،كما أن بعض الستائر التي كانت تفصل بين الموائد كانت هي الأخرى مزينة برسوم وألوان جذابة متناسقة ، كان التنظيم يكشف عن ذوق رفيع .

إقترح رامون أن نجرب الساكي الياباني كتقدير للبار ولأنا نحضر لأول مرة، اعتذرت وطلبت كاسا من النبيذ الحلو ،قالت كارولين ...أنها لاتمانع ،فضلا أنها من دعاة التجريب ...ضحك رامون وقال على نحو موارب ..التجريب يقود دائما الى الحقيقة ، كما أنه يكشف عن روح مغامرة
يبدو أن البار من الأماكن المرغوبة فقد امتلئ بالزبائن وارتفعت أصوات مرحة وطغت قهقهات النساء ولفت نظري أنه مع كل نخب يتبادلون القبلات ،وقد إنسجمت كارولين تماما بحيث كانت هي التي تبدأ النخب وتتوجه بكليتها لتقبيل رامون.
كنت أرقب الجميع ،مأخوذة بطريقة إستثارت إهتمامي ورسخت عندي مفاهيم هذه الطبيعة المتناقضة للشعب الفنزويلي.

أصبح عملي روتينيا بإنقضاء السنة الاولى ...وحينما تم وضع جدول الاجازات بموجب العقد ، لم أرغب بالعودة الى هولندا ،فأنا وحيدة ، وقررت أن أقوم بجولة في فنزيلا
قالت كارجيا أنها ستكون سعيدة بمرافقتي ، وبالفعل تقدمت بطلب إجازة تمت الموافقة عليها
-أعتقد ان من الأفضل أن تستأجري سيارة صغيرة وأن نضع مخططا ليوافق عليه السائق ...إن مثل هذا الإجراء سيجنبك المساومات ونزوات السائقين
- وهل يمكنك العثور على سيارة ملائمة وسائق يمكن الوثوق به ؟
- نعم سيدتي ..أعرف سائقا يعمل موظفا في شركة التأمين ، يمكن التفاوض معه.

كان السائق رجلا في الأربعينات ،طويل القامة يوحي وجهه بالراحة ،حين جاء لمقابلتي كان يصحب فتاة في العاشرة قال إنها ابنته الثانية
-لقد كلمتني كارجيا ...سوف لن ندخل في حديث لامبرر له ...أستطيع أن أرافقكما لمدة أقصاها خمسة عشر يوما ..يكلفكم هذا خمسن دولارا يوميا أجرتي كسائق ويضاف لها قيمة الوقود حسب المسافات
وافقته وقلت -ندفع يوميا
-لا ...أفضل الدفع الإسبوعي ومقدما

-لابأس...نبدأ بعد يومين وعلى أن تحضر الساعة التاسعة صباحا وستكون وجهتنا الأولى البحر الكاريبي
-سيدتي ...شواطئ الكاريبي لن تكفيها إجازتك ،وعليك أن تختاري منطقة محددة ، من جانبي أقترح شواطئ البايون ،فهي شواطئ برمال بيضاء ويمكن ان تستمتعي بالغابات الاستوائية .....أو شواطئ هنري بيتيه
قالت كارجيا : أفضل هنري بيتيه فهي الأقرب ، كما أنها مليئة بالمطاعم وأماكن التسلية
-حسنا ...سنذهب الى هنري بيتيه وعلى مسؤولية كارجيا
-لن تندمي سيدتي.

في الطريق الى الساحل كانت ترافقنا سلسلة جبال شاهقة خضراء ،فيما تتقافز طيور بألوان زاهية غاية في الجمال . ..كنت أعاود تذكر هولندا بسهلها الممتد على طول بحر الشمال ...التضاريس هنا مدهشة ...لم يكلمنا السائق فقد كان يركز على الطريق الملتوي صعودا ونزولا ويحذر من سيارة مسرعة قد تظهر فجأة
...حاولت كارجيا أن تشرح لي معالم الطريق ولكني أمرتها بالصمت فالطريق هو من يتكلم.

الساحل برماله البيضاء والبحر الذي تتدرج الوانه الى أن تغدو داكنة الزرقة، يكشف عن تدرج العمق ....كان الساحل مكتظا بالمتنزهين والسابحين ، وعلى الشارع الممتد بموازاة الساحل عشرات المطاعم والمقاهي وصالات الرقص التي تزدحم ليلا بالراقصين الذين يشمخون بالفلامنكو أو يتلوون بحركات عنيفة برقصات الكاريبي
قضينا ثلاث ليال جميلة قبل أن نغادر الى شلالات انجل المتساقطة من ارتفاعات شاهقة ....كانت متعة أن تترك جسدك لرذاذ الماء المتطاير ...كما كان مدهشا منظر بخار الماء وهو يشكل غيوما شفافة .

تناولنا الغداء في مطعم يطل على الشلالات ،اقترحت كارجيا أن نذهب الى جزيرة مارغريتا الجبلية
حين وصلنا الجزيرة قررت أن نقضي بقية الإجازة في هذه البقعة الساحرة، كانت الجزيرة الجبلية تطل على البحر بشواطئ رملية واسعة ، وعلى امتداد البصر يتنافس العديد من راكبي ألواح التزلج ....وفي الساحات الرملية داخل الجزيرة يمكن ممارسة رياضة ركوب الخيل ...حرصت أن تكون غرفتي في الفندق مطلة على البحر، ففي ساعات الفجر وعند الغروب ، كنت أشعر أني في فردوس حقيقي
قلت لكارجيا ...سنقضي إجازتنا هنا.

تعرضت كراجيا لنزلة برد حادة بعد أن فتحت مكيف الهواء ليلا وهي في حالة انتشاء من قضاء سهرة صاخبة ،في مرقص للرقص الكاريبي مع أحد الشباب الذي تعرفت عليه وهي في البحر
قررت أن أذهب بها الى المركز الصحي القريب ، كان الطبيب يقرأ بكتاب باللغة اللاتينية ...وضع نظارته جانبا وتطلع نحونا ....الى جانبه ،كان شابا وسيما يرتدي فميصا قطنيا أبيضا وبنطالا قصيرا ،كان يتطلع الى الساحة .
قال الطبيب:مم تشكو الانسة
-مرافقتي دكتور مصابة برشح
.-معظم الناس هنا يصابون بالرشح بسبب استعمال أجهزة التبريد ..وعموما الموضوع ليس خطيرا
- آمل ذلك ...درجة حرارتها مرتفعة وقد رفضت الصيدلية بيعنا الدواء الذي طلبته.
أعاد وضع نظارته وقال – كيف سنتدبر عيشنا إذا كان كل شخص يستطيع شراء الدواء مباشرة !!
التفت الشاب الوسيم ،كان شعره يتدلى على جبهته في خصلات متناثرة تضفي علية شيئا من شقاوة الشباب
قال-آنسة داني !
شعرت بأن شيئا ما يتفتح في أعماقي

- نعم
- كيف جئت الى الجزيرة المنسية
- كما جئت أنت كما أعتقد
- بالتأكيد لا ..فهذه عيادة أبي وأنا أقضي فترة نقاهة
- عفوا ...تعني أنك تعرفني من المستشفى
- نعم كنت قد تعرضت لكسر في الحوض ونقلت من المستشفى العسكري الى مستشفى الجامعة وفي الأيام الاولى كنت تحت إشراف قسمكم ثم نقلت الى قسم آخر...تعلمين أنسة داني ، أنك شخص ليس من السهل نسيانه

قال الطبيب - أنتما معرفة، وأنت تعملين في الطب أيضا ...يعني هذا أني لن أحصل على ثمن المعالجة

- أبي... لقد كانت الانسة ممرضة في المستشفى وهي من ضمن الفريق الهولندي ...كانت غاية في الرقة معي
- واضح جدا ...أحد ما يجب أن يتحمل ثمن معالجة المريضة ...
- حسنا سيدي ، سأدفع أنا
- لا مبرر ...أنا أمزح فقط

أصر انطونيو أوتيرو ،على أن يأخذ موعدا لنلتقي مساء ...قال بأنه سيمر علي في الفندق لنسهر في المطعم العائم ....وأنه سيريني الجزيرة غدا ويشرفه أن يكون دليلي
كان إنطونيو نقيب في سلاح الجو وقد تعرض لحادث عند هبوطه بالمظلة ...قال بأن حبه للطيران قد إنتهى ،فقد صدر أمرأ بنقله الى وحدة صيانة أرضية ، ولهذا فهو سيتوجه الى حب آخر.

شعرت أن انطونيو قريب مني وأني أعرفه منذ زمن ،على نحو غير متوقع ولم يكن في الحسبان ، إستيقظت فيّ مشاعر الأنوثة التي أرهقها العمل ، وربما ساعد على ذلك الإسترخاء والجو الساحر في الجزيرة
حينما أويت الى سريري ، كان وجهه الأسمر على وسادتي ،وكنت أتطلع في عينيه وأبحر في عمقهما اللامتناه ...حدقت في السقف ...لم أستطع أن أغفو ...كنت عاشقة ...هكذا بدون مقدمات
تذكرت لوركا .....
عندما أصبحت العشية
بنفسجية، وضوؤها مبهم،
مر فتى كان يحمل
ورداً وريحان قمر
ـ تعالي إلى غرناطة يا صبية

قلت ...أنا في غرناطة ياسيدي لوركا، والفتي يحملني على موج البحر....وأشم ريحان القمر ،فيما يتناثر الورد فوق الامواج التي تلامسني بود .....وغفوت.

أحلامي كانت هادئة حتي أني نسيتها ...كنت قد بدات أصحو ، حين سمعت طرقا خفيفا على الباب ..في بالي أني ما زلت أحلم ، شعور بالرضا كان يخدر جسدي، بدأ الطرق ترتفع وتيرته ...صوت كارجيا يخاطب شخصا ما ، إنها نائمة ...غير معقول فهي تستيقظ مبكرا في العادة
-كارجيا أنا قادمة
- حمدا للرب ...لقد أخفتني
- ماذا حصل ؟
- إنها التاسعة سيدتي وأنت على موعد في الثامنة
- على موعد
-نعم سيدتي ...وقد أرسل السيد انطونيو باقة ورد لك وقال أنه سيحضر في العاشرة ...ليحفظه الرب ،كم هو وسيم ورقيق

الفصل الخامس

لكل سحابة بطانة من فضة

السير وليم جيليبرت

كنّا على مائدة الافطار.
قلت - كارجيا يبدو أنك أحسن
قالت :نعم سيدتي فالدواء كان فعالا
- لدي سؤال أرجوأن تكوني صريحة في جوابك
- طبعا ...لقد ملئني الفضول
- ما رأيك بكارولين؟
- لم أفهم سيدتي !
- أعني شخصية كارولين
- آه ...إنها واضحة ومدللة وتتصرف ببساطة طفولية
- هل تعتقدين أنها مستعدة للوقوع بحب انطونيو من أول لقاء
- سيدتي ..كارولين مستعدة للوقوع بحب أي شاب يغازلها
- ولكني أتحدث عن انطونيو
- بحالة كارولين فهي جاهزة ابتداء،ألا تجدين سيدتي إن السيد انطونيو يشبه الممثل الأمريكي روك هدسون ...لقد شاهدته في فيلم إنحناء النهر ست مرات متوالية ....يمكن أن لا تترك له فرصة الهرب !!!
- شكرا كارجيا

توقفت عن إكمال قدح القهوة ...وقمت أتطلع الى الغابة التي تصعد مع الجبل، كنسيج متداخل يخفي وعورة التضاريس...فرت مجموعة من الطيور صعودا الى القمة وهي تتفرق مذعورة ....أن تقع كارولين بحالة حب مفاجئ أمر ليس بالغريب ، في حالتي الأمر مختلف
ولكن لماذا ..جرّني التساؤل الى الوقوف على حافة ضيقة ...هل أستطيع التوازن ؟ مرة أخرى لماذا ...عليّ الإعتراف بأني أحب .
جاء النادل ليقول أن سيدا على الباب يطلبني
قالت كارجيا – أنه انطونيو ...تشجعي سيدتي .

كان انطونيو بملابس إسبانية كفرسان القرون الوسطى...بعمامة زرقاء ورداء طويل من القديفة الحمراء ، وهو يمتطي حصانا عاليا بلون رصاصي داكن، وبيده لجام حصان أبيض أصغر حجما ،ذو شكل جميل ورقبة طويلة ،على امتدادها شعر خشن ، عيناه كبيرتان واسعتان تشعان بالحيوية، بدا الحصان وكأنه يشعر بأهميته ، تماما مثل بعض الشخصيات المغرورة
قال انطونيو :سيدتي ...هذا الحصان الوديع لك ، واسمحي لي أن أكون حارسك في استطلاع الجزيرة ، كوني واثقة سيدتي أني أستطيع حمايتك.

أنا واثقة أيها الفارس ، ولكن اسمح لي أن أرتدي بنطالا ملائما فقد فاجأتني.

-حارسك بالانتظار سيدتي

حين عدت تقدم بواب الفندق ليساعدني فشكرته قائلة : أ ستطيع إمتطاؤه وحدي.
قال انطونيو : في أحسن الحالات سنجري خببا فالطرق الحجرية لاتسمع بالسرعة
قلت مشاكسة :لن نجري ... ولكن حصاني خفيف الحركة وأنت تخشى أن أسبقك
-نعم
-هل هو عربي؟
-وتريدين أن أدخل في سباق معك ! نعم هو عربي كان جده لحاكم اسباني جاء به من المغرب
لم أكن أشعر أني داني ، الهولندية ...كنت أشعر أني جزءا من هذا المكان ،ربما منذ تاريخ موغل في القدم ..إني طائر حر يحلق في فضاءات من السحر وعبق البخور ،فيما دوار خفيف يملأ رأسي ...دوار يزيد من رغبتي في الطيران في أجواء هذا الفضاء ...أشعر إني أميرة تملك الجزيرة والبحر وهذا الفارس الجميل.

كان المارة ينظرون نحونا بشيء من الفضول والاستغراب ، ولكن أحدا لم يعلق ...دخلنا غابة رطبة بنسائم باردة بعض الشيء ...كان انطونيو يشرح لي ما نمر به ....أسماء الأشجار والطيور الغريبة وتاريخ بعض التماثيل المنتصبة على مفارق الطرق الضيقة ....فجأة انفتحت الغابة عن سماء زرقاء تقطع بهاءها غيوم متحركة بسرعة وكأنها تحاذر أن تحجب الزرقة البهية المطلة على البحر المترامي ...قال انطونيو ..هنا كنت أذاكر دروسي...
قلت متعجبة -وحدك ؟
قال -لا ..كانت حوريات البحر أمامي يمارسن طقوسهن السحرية! ....كان يشاكسني ...
قلت ...أني أسأل جادة
-بالطبع تغير الوضع هنا ...تحجب هذه الصخور مجموعة من المقاهي التي تشكل حياة أخرى في المساء ...فهي تطل على البحر فيما يهب نسيم منعش يرفع من درجة الانتشاء بنبيذ جزيرة ما رغريتا ....فماذا سأفعل إذا ماكانت معي مثل هذه الهولندية الساحرة ؟
نزعت القبعة الصغيرة التي جمعت فيها شعري، فانسدل على كتفي ...كانت حركة غير مقصودة ولكن انطونيو أرسل صفيرا مرحا
قال -وبهذا الشعر الذي يلوّن ما بين الغابة والبحر !
-لنكن جادين

قلتها وأنا أتمنى أن نظل بعيدين عن الجد، في هذا العالم السحري ،في أذني كانت وشوشات البحر وصوت انطونيو وهدوء الغابة العميق
قال انطونيو - سنهبط الى مقهى رائع ..سنسهر هنا ،إلا اذا كنت تفضلين مقاهي الداخل
قلت – منظر البحر من الجبل رائع ويسرني أن أشهد الغروب حينما تهبط الشمس لتغوص في عمق البحر
حين توجه انطونيو للهبوط ، أحجم حصانه وبدا رافضا التحرك
قال انطونيو -تقدمي بحصانك فهو أكثر شجاعة.

كان الطريق الممهد لايزيد عرضه عن المتر وعلى الجانبين صخور حادة ...بدأ الحصان بتفحص الطريق ونقل خطواته بتؤدة وهو لايرفع بصره عن مواقع حوافره

قال انطونيو –تمسكي جيدا باللجام ولا تلكزي الحصان
قلت –أنا خائفة أكثر منه
تبعنا حصان انطونيو وكأنه اقتنع أن الطريق آمن .
قال انطونيو –المواقف بالشجاعة وليس بالحجم
كان يعلق على حصانه الضخم وحصاني الرشيق والصغير الحجم

لم تكن المسافة تزيد عن خمسين مترا حين بلغنا الطريق المعبد والممتد بإطلالة رائعة على البحر ...الى الجبل كانت مقاه عديدة يرتفع منها اصوات الغناء بالاسبانية والانكليزية والإيطالية...كان بعضها حاد النبرات وكأنه نواح حزين وبعضها يمتلئ بالمرح ، وأصوات أخرى تتحدث عن الحب والمستقبل
قال انطونيو – مقهانا قليلا الى الامام ، يتميز بكراسيه الزرقاء وبشرفة علوية منحوتة في الجبل ، ستكون سهرتنا الأقرب الى القمر الذي سيطل بعد قليل.

من الواضح أن إدارة المقهى كانت على علم بحضورنا ، كانت الطاولة المستطيلة ، مكسوة بشرشف أزرق اللون رصفت فوقها أقداح كرستالية يتماوج فيها بقايا ضوء الشمس ،وباقة ورد كبيرة مفتوحة تنبعث منها رائحة منعشة ، وسطل من الالمنيوم استقرت فيه زجاجة شمبانيا بين قطع الثلج الصغيرة
قال النادل- أهلا بكما ..يشرفني سيد انطونيو أن أكون المسؤول عن خدمتك -شكرا
وضع في يده ورقة نقدية
قلت-المكافئة بعد الخدمة.... في هولندا

قال- انت في جزيرة مارغريتا ...تذكري هذه الحقيقة دائما
ساعدني انطونيو بنزع البلوز القطني الخفيف وأسرع النادل لأخذه الى مشجب قريب.

بدأت الشمس تهبط ببهاء فوق سطح البحر الذي كانت مويجات خفيفة تتسابق لتلامس قوس الاستدارة الكاملة لقرص برتقالي يجرب أن يقتحم الماء الأزرق ، فيما بدأ الكون يغرق في صمت مترقب وران على الغابة ورائنا خرس، فلم تصدر نأمة واحدة وكأنها الأخرى بإنتظار هبوط الشمس البهي
عدل انطونيو من وضع كراسينا ،جعلها مواجهة للبحر و متلاصقة ...لم يتكلم ،كان يجاري اللحظات الجديدة التي يمر بها الكون من حولنا ,وكنت مأخوذة بكل هذا ....حين تلامس ذراعانا العاريان ، أنا بقميص بدون أكمام وهو بقميص قطني لا يغطي إلا جزءا من أسفل الكتف ، شعرت برجفة خفيفة تسري في كياني ،وبدا هو غير مبال ...لم أستغرب عدم ردة فعله وبقائة ملامسا ذراعي ...ربما لأنه قائد طائرة درب على عدم التصرف بردة فعل مباشرة والتحكم بأعصابه
هبط نصف القرص البرتقالي الكبير في البحر وأصبح المنظر ساحرا ،وتحركت المويجات على سطح البحر بنشاط أكبر معبرة عن فرحها بهذا الزائر العزيز
قال انطونيو-تأملي هذا المنظر جيدا ...إنه الحب الثابت بين البحر والسماء... تصوري إنه لم يتغير منذ بدء الخليقة
- لأن الطبيعة صماء تتصرف وفق قوانين ثابتة وليس وفق مشاعر قد تكون متناقضة
- ربما في يوم آخر سنناقش هذا ...اليوم ، لنعش هذا السحر الذي تصنعه جزيرتنا.

إرتفع رذاذ الشمبانيا حين فتحها النادل وصب في قدحينا فتوهج السائل الخمري في لحظات سقوط قرص الشمس كلية بأحضان البحر الذي تحولت زرقته المتوهجة الى عتمة داكنة وكأنه غص بحجم القرص الهابط بأحشائه.

وضع انطونيو ذراعه حول كتفي ...شعرت بدفق من الحنان يدب ببطئ في جسدي فيما غرق فكري بصمت عميق مورق عرّش في جوانب مخيلتي.
في الجانب الشرقي كان القمر يصعد ببطء وتلتمع أضواؤه على صفحة البحر فيما يذوب الشعاع الهابط نحونا في كأسي الشمبانيا فيلصف الكرستال بضوء منشوري كقوس قزح ...
قال انطونيو ...هذه اللحظات كاملة البهاء وستظل في ذاكرتي ما حييت،

ضحكت وانا ارفع وجهي نحوه - كم مرة قلت مثل هذا الكلام الساحر لفتياتك !
-لاأنكر أني عرفت الكثير في الجزيرة وفي كركاس ..ولكني لم أعرف أني أجيد مثل هذا الحديث معهن ...وربما لن أستطيع بعد هذا اليوم أن أتذكر ايا منهن !
شعرت بغرور الأنثى حينما تسمع أنها موضع كل هذا الغزل الرقيق والصادق ...كانت كلماته شفافة وتبعث على الثقة والإطمئنان ...ربما صورت لي عواطفي ذلك ، ولكني واثقة ...تخللت كفه شعري وضغط برفق على رأسي.

بدأت أصوات المقطوعات الموسيقية ترتفع متداخلة على امتداد الشارع المطل من أعلى على البحر ...الناس في الشارع ،بعضهم يقف ليشتري الذرة وأخرون يتكؤون على السياج الحديدي وهم يحتسون البيرة والبعض احتل الكراسي التي وضعتها المقاهي في المقدمة
قلت -هل يمكن أن يقدموا اغنية فرانك سيناترا (شباب في القلب)
قال النادل –نعم
قال مدير المقهى –سنقدمها لكما فقط
كان سيناترا ساحرا ...وشعرت أني أبحر في زورق تدفعه موجة رقيقة ،قال انطونيو ...لم اكن أعرف أنك بهذه الشاعرية .

بدأ الجمهور في الاسفل يرقص الفلامنكو ،مجموعات على طول الشارع المكتظ بالمقاهي التي تطلق أغان اسبانية ...كان الجمهور متحمسا ...الفتيات يرفعن أطراف فساتينهن ويرفعن اليد الحرة فوق رؤوسهن وهن يشكلن دوائر تضيق وتتسع والشباب يضرب الارض الحجرية بأقدامهم بقوة ويضعون يدا خلف ظهورهم واليد الأخري تشكل نصف دائرة وهم يشمخون برؤوسهم على نحو يفجر في مشاعرهم أحساس الرجولة
قال انطونيو:هل ترغبين بالرقص؟
قلت : سيكون ذلك رائعا.

نزلنا الى الشارع واندمجنا مع المجموعة التي ترقص امام المقهى...صفق الجميع مرحبين وقد لحظت أنهم يعرفون انطونيو، همس في أذني ...صحيح أني شفيت ، ولكن الحركات العنيفة تسبب لي ألما ...قلت ..يمكنك أن تتحرك ببطء وسأحاول أن أجد راقصا ...ابتسم ، وقال ...لا يمكن ...لن ترقصي الا معي .
بقينا بضع دقائق وعدنا ثانية الى السطح ..لقد وجدت أنه بدأ يتعب ...طلب زجاجة تبيذ البارينو وقائمة الطعام ....على السياج الممتد مع الشارع جلس

الشباب يحتضن كل رفيقته وهما يغرقان بضوء القمر ، وقبل طويلة تأخذهم الى عوالم شفافة
قال أنطونيو - هل ترغبين بالعودة الى الفندق أم ترافقيني الى بيتي الصغير حيث أسكن وحدي .
قلت -افضل العودة للفندق وسيكون لدينا الوقت الكافي لمشاهدة عش عصفور الكناري
رفع الخصلات المتناثرة على وجهه ودفع الحساب ...كان النادل قد اعتنى بالحصانين ...حين امتطيناهما كانا نشطين ...سرنا سوية ، نخترق جموع الشباب المنهك من الرقص العنيف ..
.قال .- لقد كان يوما سيظل في ذاكرتي .
.قلت ..أنت رجل لا تمل رفقته ...وسأفتقدك في كركاس ..
قال -لا ..فأنا أعيش في كركاس لأن عملي في مقر وزارة الدفاع ، وأنا أحضر في العطل والإجازات الى الجزيرة...ولهذا فستريني كثيرا ، إن لم تمانعي.... غالبا .

إبتعدنا عن جماعات الرقص وعشاق السهر وانحدرنا الى شوارع الجزيرة ...كانت الشوارع خالية ولا يتردد إلا صوت حوافر الحصانين ، اللذان أدركا إننا في أعماقنا نرغب ألا ينتهي الطريق ، فسارا ينقلان خطواتهما بتباطؤ متعمد.
قال انطونيو -حيث أنك تخافين الذهاب الى بيتي ، لنشرب القهوة في المقهى الوحيدة التي تظل فاتحة طوال الليل ....يقصدها من أثقل في الشرب ليخفف من آثاره .
لم أمانع ، وهو يقودني الى المقهى قبلني على صفحة خدي وضغط على كفي ..شعرت أني أرغب في قضم شفتيه ..كان يملك أجمل فم شاهدته لرجل طوال حياتي ...رفعت وجهي ولكن مجموعة من الشباب إرتفع صوتها فجأة بأغنية شعبية اسبانية بدأت صراخا حادا لعاشق ملتاع يتوسل حبيبته بالعودة ، أعادني ثانية الى مدخل المقهى المزين بصور كبيرة للقطات من حلبة مصارعة الثيران،كان بعضها لوحات زيتية ..بدت الثيران متحفزة وكأنها تدرك أن وجودها في الحلبة اليوم هو اللحظات الأخيرة لها ..في نظرتها الثابتة على (الماتودور) تحد حاقد، فالرجل يحترف القتل للإمتاع....ولكن ما شد انتباهي صورة كبير لمصارع يختال بموقف يعبر عن ذكورية مفرطة ...في جانب من شخصيته كان انطونيو ...ابتسمت بشيء من النشوة
قال انطونيو - ماذا حصل ؟
-لاشيء ...فقط وجدت أنك تشبه الماتودور

أشرت الى الصورة الكبيرة ...قال –هل تعلمين ..كنت أحلم أن أكون مصارعا للثيران ..كان ذلك وأنا في الرابعة عشر ...
- ولماذا لم تعمل على تحقيق حلمك ...كان يمكن أن تصبح أجمل ماتودور
- أنت تبالغين ..ولكن شكرا على هذه المجاملة
- لا ...أنت فعلا ستصبح كذلك
قادني الى الداخل ونحن نتبع النادل الذي أشار الى منضدة الى الشباك المطل على الشارع
حين جلسنا ، أمسك بيدي وهو ينظر في عيني مباشرة وانحنى يقبلها ..كان رقيقا ...وانسدل شعره يغطي وجهه وكفي ...رفع رأسه ولكنه لم يترك يدي ...قال ...كم أود أن لاتنتهي هذه اللحظات السعيدة والرخية
قلت – ستنتهي فنحن على مشارف الفجر وكارجيا الان شاخصة نحو الباب بقلق فأنا لم اخبرها انا سنتأخر.

كانت كارجيا كما توقعت ...تجلس قبالة الباب الرئيس للفندق ...وجهها الأسمر الداكن كحبات القهوة المحمصة ،ينتشر على تقاطيعه قلق ممض ...وما أن سمعت حوافر الحصانين يتردد صداها في الشارع الذي بدأ غبش الفجر يكشف عن ملامح البنايات المطلة على جانبيه ،حتى خرجت مشرأبة نحونا
-حمدا للرب ...لقد صليت كثيرا من أجلك سيدتي ...وأنت أيها السيد انطونيو ،لماذا لم تتصل بي ؟
قال انطونيو وهو ينحني بحركة مسرحية – كارجيا ...ايتها الانسانة المخلصة ،بحق الرب ..إقبلي إعتذاري ..إن جمال سيدتنا ما كان يترك لي فرصة الانشغال عنه حتى ببضع كلمات مطمئنة لك
ضحكت كارجيا ، فيما شعرت مرة أخرى بطيف من الغرور يعبر مخيلتي، ساعدني في الترجل ثم رفع كفي الى قلبه
-صدقيني أنه ليس من السهل وصف مشاعري وأنا مضطر لتوديعك ...كان بودي أن نتناول الافطار سوية
التفت الى كارجيا ، وتابع – وكنت ستكونين معنا ،فمثل هذا الوفاء نادر..أنت رائعة
-شكرا سيدي
امتطى جواده وهو يقود الاخر، فيما ملأت دفقات هواء عباءته ...وهي تعبر الشارع الضيق معلنة اكتمال تقدم الفجر الى الجزيرة.

قالت كارجيا-سيدتي لقد قلقت عليك !رغم أن شارع بلايا اغوا يمكن أن يشغل أية سيدة طوال النهار ، ولكني لم افكر أنك ستقضين الليل أيضا

-كنا في مقهى ساحر يطل على الكاريبي، واستمتعت برقص الجمهور على طول الكورنيش المعلق
-الم تذهبي لقضاء السهرة في فيلا آل أوتيرو
-قلت كنا على الكورنيش طوال الليل ...هل أل اوتيرو مشهورين في فنزويلا
- نعم سيدتي فهم من العوائل الارستقراطية ...أنا لاأرتاح لهولاء الناس ...فهم يشعروني بأني من طبقة متدنية
-لنكمل الحديث عن آل أوتيرو لاحقا ،أشعر بالنعاس

ونحن نمر من أمام مكتب الاستقبال ، ابتسم الموظف الشاب ..كان وجهه الممتلئ وشعره الفاحم السواد يكشف عن أصوله الهندية من سكان فنزويلا الاصليين
قال – آنسة داني ..تركت لك موظفة بدالة مستشفى الجامعة في كركاس رسالة قمت بكتابتها ، أرجو ألا يسبب خطي بعض الإزعاج

استغربت أن تعرف موظفة بدالة المستشفى عنواني .
قالت كارجيا – الموظفة قريبتي وكنت قد اتصلت بها امس لتطمن والدي ، فهي تسكن في الرانشو
-ولكن ماذا تريد !

كانت الموظفة تعتذر عن تطفلها ..وتقول بأن زميلتي كارولين اتصلت من هولندا تسأل عني...وحين اعلمتها انك في رحلة سياحية داخلية ، طلبت أ ن ابلغك أنها ستتزوج نهاية الاسبوع ، وأنها لن تعود الى فنزويلا وترجوك أن تحتفظي بحاجياتها المتبقية لحين ايجاد طريقة لتسلمها وتتمنى لك إجازة سعيدة.

قلت لكارجيا –أشعر بإعياء...دعيني حتى أستيقظ ...فأنا أشعر أني لم أذق النوم منذ زمن ، أشعر بحرقة في عيني

كان نوما عميقا حتى الأحلام لم تستطع أن تخترق جدرانه السميكة ، لم أستحم وحتى لم أغير ملابسي ...أعرف أني قد تعودت على السهر في عملي ...ولكن الأمر اليوم مختلف جدا ... السهر والشمبانيا والنبيذ الحاد والمشاعر والأحاسيس، التي حمّلتني جهدا إضافيا ....كل هذا كان جديدا
حين استيقظت كانت الساعة السابعة مساء ...شعرت بجوع شديد ولكني ذهبت الى الحمام اولا ....ثم إرتديت فستانا فضفاضا من القطن بدون أكمام ونزلت الى المطعم .
كانت كارجيا تجلس في الصالة المواجهة للمعطم ...نهضت مسرعة
-كيف أنت الان ،لقد قلقت عليك ولكنك حذرتني فلم اوقظك

-حسنا فعلت ، أنا جائعة
-ولكن السيد انطونيو قال أن علي ان اتصل به فور استيقاظك لأنه يرغب أن تتناولا العشاء سوية
-لا أستطيع أن أخرج ...اتصلي به وليحضر هو ليتناول العشاء معي ...هل تعشيت؟
-لا
-أذا قولي له ليتعشى معنا
ابتسمت كارجيا فرحة
- يسرني سيدتي ، أن أتناول العشاء معك ومع السيد انطونيو شرف كبير
- أنت تقصدين مع انطونيو
قالت بحياء-نعم سيدتي ...إنه سيد ساحر

قال انطونيو وهو يسحب كرسيه الى الوراء ليجلس-لابأس ، المكان جميل هنا ، كما إن أي مكان معك سيظل أجمل الأماكن في العالم
قالت كارجيا هامسة –ألم أقل لك سيدتي أنه ساحر

بعد العشاء رفضت أن أتناول النبيذ واكتفيت بكأس من الايس كريم بالكرميل
قال انطونيو –ما هي مشاريعك ليو م غد
- لا أدري
- إذا أدعوك لجولة من جزئين الأول الى سوق اللؤلؤ ،جزيرتنا من أهم أسواق اللؤلؤ في العالم والثاني جولة بحرية
- لامانع ولكن لنبدأ في العاشرة
قالت كارجيا- سيدتي ماذا بشأن السائق
-ماذا بشأنه ؟
- إنه يسأل ما إذا كنت بحاجة له
قال انطونيو – إذا سمحت لي أن أتدخل ، اصرفيه فأنت لست بحاجة له ، أما العودة الى كركاس فسأتدبرها أنا
قلت لكارجيا –حسنا يمكنه العودة وخذي كامل حسابه وفق اتفاقنا
قال انطونيو – أنت كريمة وتلتزمين بالوعود ....هل تقبلين أن أعمل عندك!!

الفصل السادس

عندما تكون في روما تصرف كما يتصرف الرومان

القديس أوغسطين

يكون الطقس في هولندا ، في بعض الأيام كغانية مدللة ،لايمكن التنبؤ بتصرفها اللاحق ...كانت الشمس مشرقة وهواء خفيف وبارد نسبيا يمر عبر شوارع مدينة أرنهم ..ومن وراء الزجاج المطل على الشارع كنت أرى الوجوه طافحة بالسعادة، كان جوا ربيعيا يملأ أجواء المدينة
ولكن غيوما داكنة كانت تسرع لتغطي السماء ،وكأنها على موعد مستعجل ، أرسلت أولا زخات متقطعة كإنذار للمتبضعين والمتسكعين والجالسين على المصاطب المزروعة على الشارع ، ثم بدأ المطر يسح كأنه كان ينتظر اللحظة لينفجر محدثا إرباكا في صفوف المتخلفين عن فهم الانذار الأول ،ومع المطر بدأت رياح سريعة تضرب المطر بواجهات المحال المختلفة ، لم يكن من السهل تبين الحالة التي سادت في الشارع الذي كان يضج بالحركة والنشاط.

تطلعت في وجه دا ني ..لم تك في تواصل مع ما يحصل ، كانت الذكريات المتدفقة ونشوتها، تبعثان فيها حيوية ،وبدى وجهها ورديا وفي عينيها التمعت توهجات من زمن الصبا وعنفوان الشباب وحلاوة المشاعر...حتى الغضون الخفيفة التي كانت تحت عينيها أصبحت خطوطا باهتة أضفت على وجهها المتفتح دفئا سرياليا غامضا....صوتها صدى مثقل بالنشوة يحمل رنة حلاوة آسرة
قلت – وهل ذهبت الى سوق اللؤلؤ؟
تنهدت بعمق ونظرت نحوي – نعم .

تابعت : كان انطونيو يحدثني، ونحن في سيارته المكشوفة ،عن الجزيرة ...قال أن إسمها أيسلا دي مارغريتا وفي الإسبانية تعني اللؤلؤ ، ونحن اليوم في واحدة من مدن الجزيرة التي تتمتع بمزايا تجارية منها الميناء والسوق الحرة

كان يمسك بيدي وهو يقود سيارته ببطء في الشارع المزدحم بالمارة ..
قال -لا أدري إن كانت مارغريتا تعلم بأن أجمل لؤلؤة تتجول في شوارعها !! هل تعلمين ؟ أفضل أن لا تعرف هذا ، لأنها ستغار وسأكون بموقف صعب ،لأني أحب كليكما !
كان الحديث يملؤني نشوة واعتزازا

ركن سيارته في موقف على جانب الشارع وأوصى الحارس أن ينظفها ، كانت المدينة تتشابه الى حد كبير في طرازها المعماري الإسباني مع بقية المدن في الجزيرة الصغيرة...دخلنا محلا أنيقا ..على الباب كان حارس يرتدي لباسا رسميا بقبعة ذات حواف سوداء اللون ،وعلى الممر فرشت سجادة حمراء ، وأمامك

والى الجوانب خزانات زجاجية عرضت داخلها حلي متنوعة ، وعلى حوامل من النيكل عرضت حبات لؤلؤ مدهشة ، الى الأمام كان سلّما من المرمر المعرق يرتفع مسافة قصيرة .

استقبلنا شاب بابتسامة تجارية واسعة ، رحب بانطونيو ...سيدي ، يمكن للانسة أن تستمتع برؤية معروضاتنا الخاصة ، في الطابق العلوي
قال انطونيو –نفضل أولا أن نشاهد المعروضات هنا وبعدها سنقرر
- كما ترغب سيدي.

أخذ انطونيو ذراعي وهمس – لاتلتفتي للباعة ، يجب أن نستمتع بالمشاهدة ، هنا توجد تحف في صناعة الحلي من اللؤلؤ
- ولكني لا أرغب بشراء شيء.

قلت هذا من باب المجاملة فلا أعتقد أن امرأة عصرية تدخل هذا الجو الساحر دون أن تتشهى الشراء، ولكني كنت محرجة ، فأنا بالتأكيد غير قادرة على دفع الثمن ، كما أني لاأريد أن أبدو وكأني أستغل انطونيو
-ليس المهم ما تريديه الان ولكن ما ترغبين به لاحقا !

كانت التصاميم غاية في الإتقان والروعة ، وفي الحقيقة شعرت بأني لن أشتري شيئا ، ليس بسبب الأسعار المرتفعة والتي تفوق قدراتي المالية ولكن لأن تنوعها وجمالها يجعل من المستحيل أن اختار ... وأنا اتطلع الى رفوف العرض وقفت أتأمل قرطا بالغ الروعة ...كانت قاعدة ذهبية مشغولة تحيط بها أربع من حبات اللؤلؤ الصغيرة يتدلى منها مظلة عليها ثلاث حبات وترتبط بها حبة لؤلؤ بيضوية بحجم حبة فاصولياء كبيرة تنتهي بقطعة ذهبية صغيرة ، ربما هي نهاية السلك الذي يربطها بالمظلة ، ولكن سعرها كان مرتفعا الى الحد الذي أغمضت عيني وأنا اغادر لوح العرض.

بعد نصف ساعة ونحن نوشك أن ننهي جولتنا ،دعانا مدير المعرض لتناول القهوة في مكتبه ،كان يتحدث مع انطونيو عن أيام دراستهما المشتركة في مرحلة الثانوية ويذكره بطريقة مواربة تجنبا لإحراجي بعدد المعجبات به ، كان انطونيو يبتسم بزهو يحاول أن يداريه ، رأيته على الزجاج المقابل يغمز لمدير المكتب ليتجاوز الموضوع
قلت - ولكن من يلاحقنه اليوم ، نساء ولسن مراهقات
ضحكا سوية وقال مدير المكتب – سيدتي ما دمت بمعية انطونيو فلا تتضايقي من إعجاب الأخريات ، أنا أشهد انه لايوزع عواطفه

جاء أحد موظفي المعرض يحمل صندوقا صغيرا من الكارتون الملون ملفوف بحرفية كما يتعاملون مع السلع التي تشترى كهدايا
سلمها لمدير المكتب الذي شكره ، وتوجه بالحديث الى انطونيو
- الأقراط والفاتورة بالداخل وقد تم إكرام الانسة بخصم 20%
قال انطونيو –هديتك
شعرت بالإحراج وقلت – لم يكن من داع
-إفتحيها اولا وجربيها فقد لاتروقك ، اذا ما فتحتيها في الفندق ولم ترق لك، فقد نضطر للعودة للمعرض ، وحينها ربما لن يقدموا خصما على السلعة البديلة!!.

كانت الأقراط التي استوقفتني ، وقد إنتهز انطونيو انشغالي ليشير للموظف الذي كان يتابعنا باختياره
حين وضعتها بأذني بمساعدة انطونيو ، ورفعت شعري، قال مدير المكتب

- أنستي ...أنظري الى وجهك في المرآة ...أعتقد أن من صممها كان قد إختار وجها مقاربا....أهنئك انطونيو وإن كنت دائما محظوظا
- محظوظ الى الحد الذي كسرتم فيه وركي من نوازع الحسد...أعاذنا الرب .

قلت – انطونيو ...أعتقد أني لن أقبلها !
-انت تعتقدين وأنا قررت !
تقرب مني مدير المكتب وهمس في أذني على نحو يسمع انطونيو ماسيقوله

-آنستي آل أوتيرو لن ينقص رصيدهم في البنك من جراء شراء هذه الاقراط

كنت احاول أن أعيدها الى الصندوق الملون ، ولكن انطونيو رجاني ألا أفعل ذلك...وقال بأنه سيكون سعيدا وهو يراها تتأرج فوق كتفي ....قلت ولكن لا أجد من المناسب ان أضعها في أذني الان ...إنها لمناسبات خاصة وملائمة في السهرات الليلية ....قال حسنا نحن فيها ...النهار نقضيه على البحر ومساء نحضر دعوة رسمية في دار البلدية ...قلت ...ولكني لا أعرف أحدا ..قال... ..ولكنك تعرفيني ...تطلع في عيني وكأنه يقرأ الجواب ....قلت حسنا يكفيني معرفتك

كانت كارجيا قد استأذنتني في الخروج مع رفيق تعرفت عليه في الفندق ...أعطيتها بعض النقود وتمنيت لها رفقة ممتعة ...كارجيا في العشرين من عمرها تعيش مع امها وأخ في المتوسطة .....تعمل أمها في خدمة بعض بيوت الموسرين في كركاس ...اما هي فقد أنهت دراستها المتوسطة وتوقفت عن

مواصلة الدراسة ومن ثم التحقت بالعمل في المستشفى كمنظفة ...كارجيا كمواطنيها من الهنود الحمر لديها بساطة في التصرف وثقة بمن حولها ، وهي متفتحة للحياة ،كانت تشعرني أنه يسعدها مساعدتي.

قال أنطونيو- سترتاحين في الفندق وسأعود في الرابعة للاستمتاع بالسباحة ، الكاريبي هادئ وسنقضي اوقاتا جميلة
- ولكن ألا تسبب لك السباحة بعض الالام
- لا فقد شفيت تماما ...ممنوع استعمال لوح التزلج أو الرياضة العنيفة
- حسنا الى الرابعة
حين توقفنا ، ترجل من السيارة وفتح لي الباب وطبع قبلة سريعة على خدي،شعرت أني جزء من هذا الجو المفعم بالحب والمرح ....ولكن هذا الشعور لم يستمر فقد اندفع عشرات الطلبة بفوضى صاخبة ،هاربين من بطش الشرطة ، وهم يهتفون بسقوط جيمي ..عميل السفارة الامريكية وخادم شركات النفط
تراجع انطونيو وقد بدا عليه الذعر وقال بلهجة مرتبكة –لندخل

كنا نراقب الطلبة الذين كانوا من المدارس الثانوية في مدينة بورلامار ، يحملون على ظهورهم حقائب مكتظة بالكتب ويركضون وكأنهم في لعبة ، كان بعضهم يتحدث بمرح مع مجاورية ثم يتفرقون في الأزقة ، وتظهر الشرطة وهي تحمل هراوات غليظة ويعتمرون خوذ حديدية من الواضح أنها تسبب لهم ازعاجا بحكم حرارة الجو التي كانت تقترب من الثلاثين مئوي، الضباط على ظهور الخيل ، كانوا أكثر استرخاء وهم يتطلعون الى جموع الطلبة المتفرقة لحظت أن انطونيو لم يعد متماسكا ،حتى أنه تجنب الكلام فيما ترتعش يداه ،لم أفهم سبب ذلك ولكني تجنبت سؤاله لتفادي الإحراج.

كانت كركاس تشهد مظاهرات ومصادمات يومية مع الشرطة ،وكان موكب (جيمي) حين يخترق الشوارع الى القصر الجمهوري تتقدمه مجموعة من راكبي الدراجات والسيارات العسكرية ،هذا ماقالته كارجيا بعد أن اتصلت بقريبتها في بدالة المستشفى

حين سألنا النادل ماذا نشرب ،طلبت القهوة ...كان انطونيو يتطلع الى سيارته المركونة أمام باب الفندق وقد بدا يستعيد حالته الطبيعية ...
قال – انتقال الاحتجاجات الى الجزيرة لا يبشر بالخير
قلت – وماذا يمكن أن يحصل ؟ العاصمة هي المكان المهم

قال- الأمر ليس بهذه البساطة...انتشار المظاهرات والاحتجاجات يعني أن أيام الجنرال ماركوس بيريز جيمينيز باتت معدودة ، هذا ما علمّته لنا الانقلابات الماضية ....جنرالات فنزويلا مولعون بالإنقلاب بعضهم على البعض الآخر

ابتسمت رغما عني ،فقد كان استعمال انطونيو لإسم الجنرال كاملا مبالغا فيه ، فالجميع يسميه في العادة (جيمي)
قال انطونيو –بماذا تفكرين ؟
- لاشيء ،ولكن اسم الجنرال طويل ..أليس كذلك؟
- أه ...نعم
كان من الواضح أن تعليقي لم يرق له
قال-عليّ أن اغادر فلدي موعد مع أبي

لم اذكره بموعده معي ....حين وصل الى الباب ،عاد ثانية .انحني على يدي ليقبلها وقال- موعدنا في الرابعة ...سوف لن تكون مظاهرات على الشاطئ!

حين عاد في الرابعة كان بوضع أفضل ، يرتدي فانيلة قطنية بدون أكمام وبنطالا قصيرا تنتشر عليه زهور ملونة وصندلا من الجلد ، على رأسه كانت قبعة مدورة صغيرة سوداء ...كان فاتنا بطوله الفارع وأناقته البسيطة ،وهو يملك ذوقا رفيعا بإختيار ملابسه.

على الشاطئ ،الكثير يحييوه بإحترام وكان يرفع قبعته لرد التحايا .لحظت أن الفتيات كن يتغامزن ويتهامسن ثم يبتسمن فيما تعبر وجوههن سحابات خفيفة من الإعجاب والغيرة ، كان ذلك يروق لي.

البحر هادئ والموج القادم من أعماق الكاريبي يفقد حماسه وهو يقترب من الشاطئ الرملي الأبيض ،فيما بدت السماء بزرقة باهتة بسبب الشمس التي مازالت تشخص وهي تتجه نحو الجانب الغربي من البحر...جذبني انطونيو لنخوض في الماء.

قال-رغم الورك الذي لم يتعاف كليا ...هل تتسابقين ؟... كنت دائما الفائز بسباقات السباحة في الكلية الجوية ...كانت السباحة درسا الزاميا
قلت – ستتعود على الخسارة معي ....أنا إبنة البحر ...هل تصدق أن أمي ولدتني على زورق !
قال- البحر هو ورقة الامتحان
قلت – أنت من يصرّ على ذلك

بعد بضع دقائق كان انطونيو يجاهد خلفي ، أشفقت عليه من أن يضغط على آلامه
-حسنا لنعد
- لامناصة من الإعتراف بكونك سابحة ماهرة
-أمران لاتنافس فيهما الهولندية السباحة والدراجة الهوائية
- جميل ...سأتركما وسأركز على الحب
- ربما افضل فالإسبان مولعون بقصص العشق وغناء اللوعة
- صحيح أني من أصول إسبانية ولكني فنزويلي الآن ...هل تريدين رؤية هويتي الشخصية !
- لا فقد رأيتك ترقص الكاريبي .

أمسك بيدي ونحن نقترب من الشاطئ ونقف فيما الماء يغطي ركبتينا ،حدق في عيني ورفع رأسه نحو السماء الصافية ، قال ..إنه يجد زرقة عيني أكثر جمالا وفتنة من زرقة السماء في بورلامار وربما في كل جزيرة مارغريتا ....سوف لن أغرق فيهما ...هل تقسمين أن تنقذيني...قلت نعم ...قرّب وجهه مني ولامست شفاهه شفاهي ....وضمني بقوة الى صدره....قلت في سرّي ...الان فقط أعترف بأني امرأة عاشقة !

حين عدنا الى الشاطئ ، كانت الشمس قرصا دائريا هائلا يقترب من البحر بجلال فخم ....
قال انطونيو –علينا أن نعود لتأخذي شيئا من الراحة الى أن نلتقي عند التاسعة لحضور الحفلة ...ضعي قرطيك لأنك ستكونين قمر ليل منتصف الشهر ...بالمناسة ، جئتك بالعقد الذي كان معهما ...أمي وأبي سيكونان في الحفلة أيضا وهما متشوقان لرؤيتك بعد أن حدثتهما عنك كثيرا....نحن نلتقي منذ ثلاثة أيام ولكني أعرفك ، ربما قبل ولادتنا ...الكثير من الفتيات كن معي في الثانوية وبعضهن ما زلن يتوددن لي، و مع بعضهن تربطنا علاقات عائلية ، ولكني لا أعتقد أني أعرف أيا منهن بمثل ما أعرفك ...لن أتحدث طويلا .

كانت السيارة تقف عند باب الفندق وأسرع أحد الموظفين الى فتح الباب وهو يرحب بي.

في الصالة كانت كارجيا يطفح وجهها بشرا وهي تنتظرني
قلت – كيف كانت نزهتك
- رائعة سيدتي ...سوف لن أنسى هذا لك ..كان خيسوس شابا مهذبا و ...

- وماذا يعني مهذبا؟
- أوه سيدتي !
نظرت الى الأرض بخجل مراهقة
قلت – حسنا فهمت ...تعالي معي لأريك شيئا

حين فتحت علبة القرطين، قالت بصوت ملؤه الدهشة والإعجاب- سيدتي ...ما أروعهما .....ولكن بحق الرب هل هما لؤلؤ حقيقي ام ياباني!
- حقيقي بالطبع
- أنهما ثروة ...ثروة حقيقية
- لقد أهداهما انطونيو
- إنه يحبك سيدتي ...ليباركما الرب
- شكرا كارجيا ...بالمناسبة سنسهر الليلة في حفلة البلدية فلا تنتظريني
- ستكونين أجمل الفتيات ... أعرف هذا
- مرة أخرى شكرا.

حين جاءني انطونيو كان يتوهج حيوية وبهاء ،بدت ملامح وجهه المحاطة بشعره الاسود المتدلي على جبهته ، ذات جاذبية ساحرة بغموض يشد الانتباه على نحو آسر
كان يرتدي طقما ...سترة وبنطلون من قماش فاخر بلون أسود وقميصا أبيضا باكمام تنتهي بأزرار ذهبية ،وربطة عنق حمراء ....كان أِشبه بأحد أبطال هوليود يستعد لتصوير مشهد عاطفي .

حين دخلنا الصالة المغمورة بفيض من الضوء المنبعث من مصابيح مربوطة على امتدادا الجدران ...بهرتني الفخامة التي بدت في اللوحات الكبيرة وفي أرضية الصالة الواسعة التي رصفت بمرمر رصاصي معرق بخطوط غامقة، والطاولات المغطاة بشراشف من القديفة حيث تنتصب قناني الشمبانيا ...كما في جمهور الصالة الذي كان في معظمه من كبار موظفي الدولة وزوجاتهم اللواتي كن يجدن في مثل هذه الحفلات مجالا حيويا لاستعراض ما يملكن من مجوهرات وحلي متنوعة ...كانت السيدات يتصرفن بتكلف وهن يتحركن كعرائس المسرح .

كان دخولنا قد شد انتباه الجميع وشعرت أن الصالة أصبحت تغرق في نوع من الصمت المتحفز ...ضغط انطونيو على يدي وهمس ...لا تشغلي بالك ...العيون كلها تتجه اليك ...

على الجانب كانت طاولة يجلس عليه الدكتور أوتيرو وزوجته ...كان الدكتور اوتيرو يبتسم بمودة وهو يقف ليستقبلنا ،فيما راحت السيدة اوتيرو تشملني بنظرة فاحصة وهي تمد يدها لتصافحني وهي جالسة

- أمي هذه الانسة داني وهي من هولندا
- أهلا داني ، لقد شغلني انطونيو كثيرا بك ...يسرني أن نلتقي

حين جلست الى مقعدي فكرت بأن انطونيو قد قطع نصف المسافة بهذا اللقاء الان ، وأنه يرغب أن يتوجه للنصف المتبقي على ضوء ما يسفر عنه هذا اللقاء، خصوصا ما سيصدر عن أمه.

عزفت أولا فرقة موسيقية مقطوعات من موسيقى محلية كانت تجمع بين اللحن الاسباني والافريقي ، فكانت حارة مليئة بدفق من العنف والعاطفة ...ثم القى رئيس البلدية كلمة عامة ونزل مع زوجته لافتتاح الرقص.

ساعة من الالحان الراقصة الخفيفة ،شاركت انطونيو فيها رقصة الفالس ، وبعد بضعة من كؤوس الشمبانيا ومن ثم النبيذ ، بدأت الأصوات ترتفع بطلب الرقص الكاريبي .

حين تراجع الجميع الى مقاعدهم ، تقدمت مجموعة من الفتيات ليرقصن السالسا التي تعتمد على حركة الفخذين والكتف وموسيقاها خليط من موسيقى الجاز وموسيقى الكاريبي .

كانت الفتيات يضعن على رؤوسهن تيجان من ريش النعام فيما تندفع صدورهن الى الامام، نصف عارية ، يرتدين شورت قصير ورداء مفتوحا بلون أحمر فاقع .

بدأن الرقص بتشكيل دوائر وحركات مثيرة ترتجف فيها الأكتاف والفخذين ، فيما كان الجميع يصفق مع اللحن الصاخب .

قالت السيدة أوتيرو – أرغب أن أصلح مكياجي ،هل ترافقيني آنسة داني .

بعيدا عن الضجة توقفت في ساحة مفروشة بعدد من الكراسي الوثيرة ، قالت - لنجلس قليلا فأنا أود التحدث معك.

أخرجت علبة سكائر ذهبية وعرضت علي سيكارة ، قلت- شكرا ..لا أدخن

-لقد حدثني انطونيو عنك كثيرا وهو معجب بك
لم أعلق ، ولكني عرفت بأنها ستقوم بعملية دراسة مستفيضة لتقييمي وأن علي أن أكون دقيقة في إجباتي فالمجتمع له خصوصيته.

-أنا لست ضد إرتباطه بك فهو ناضج ومن حقه الاختيار.

فكرت إنها بداية مشجعة وعملية الدراسة لن تكون معقدة ما دامت المقدمات سلسة ...
- هل تعتقدين أنك ستوافقين على العيش في فنزويلا ؟
- هذا سابق لأوانه ،فأنا لم أعط موافقتي وأنطونيو لم يحدثني بموضوع الارتباط
- الجواب يعطيني فكرة عن شخصيتك ...حسنا ...لنقل أني ووالده موافقان إذا ما اتفقتم على الزواج...شرطي الوحيد أن تمنحي انطونيو أربعة أطفال فهو الرجل الوحيد الباقي من عائلة أوتيرو.

لقد وجدت في السيدة اوتيرو شخصا طريفا وموضوعيا ولا يعرف المساومات، وقد أعجني ذلك .
- حسنا سيدتي سأتحدث بالموضوع مع انطونيو.

حينما عدنا كان الأب والأبن، في عيونهما ترقب لمعرفة النتائج ، ولكن أحدا منهما لم يسأل

كانت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل حينما أوشك الحفل على نهايته ...خرجنا سوية ، وعند الباب افترقنا ...ودعتني السيدة أوتيرو بحرارة .

في السيارة قال انطونيو –ماذا أرادت أمي
- لا شيئ اربعة أطفال فقط
- ماذا ...لا أفهم
- طلبت أن أنجب لعائلة اوتيرو أربعة أطفال
- وبماذا أجبتها
- بالطبع لم أوافق ...لأني أفكر بستة صبيان وبنت واحدة
أوقف أنطونيو السيارة وأحتضنني بقوة وهو يصرخ ...أحبك يا داني فان بروخ.

الفصل السابع

"فتعالى تحت ظل هذه الصخرة الحمراء "

و سأريك شيئا مختلفا تماما

اليوت

جرى كل شيء بسرعة ، كنت أتصرف كأني في سفرة سريعة بإنتظار الوصول الى محطة تعيش في حلمي منذ زمن بعيد ، يشدني الشوق اليها ،وكان انطونيو يتفجر حيوية وفرحا ، كطفل حصل على لعبة تعب من البحث عنها ،كان لا يفارقني ويتحدث عن أيامنا القادمة ، كجنة موعودة.

قالت السيدة أوتيرو- أفضل أن يجري حفل الزفاف في كنيسة سانت نيكولاس في ماركريتا ،حيث تم حفل زفافي ....ولأن ديني لم يتبق من إجازتها إلا حوالي 20 يوما ،فإن علينا أن نشرع بتحضيرات الزفاف والعرس ،أن نعلم الكنيسة وأن نحرص عل تبليغ معارفنا في فنزويلا بوقت كاف
التفتت نحوي ، وتابعت – هل ترغبين بدعوة معارفك من هولندا؟
- لا ...
بدى عليها إنطباع بالارتياح ، امرأة وحيدة التعامل معها أسهل ، ربما فكرت على هذا النحو
كان انطونيو ينتظر من إمه إتخاذ القرارات ووضع الخطط ،
قال مبررا -النساء أقدر على متابعة مثل هذه الأمور ...
قالت كارجيا - ماذا لوتم الزفاف في كركاس وبعد عودة الهولنديات من إجازتهن ....
ولكنها سرعان ما صمتت مع شعورها بأنها قد تجاوزت مكانتها.
قال انطونيو -وهل نذهب الى باريس لإسبوع على الاقل ...
.قلت ..لدينا العمر كله ...لنشعر بالفرح مع العائلة اولا
نظر نحوي بارتياح ...
قالت السيدة اوتيرو ....على الجبل فندق يليق بكما ... ...فيه جناح ملكي يمكن تدبير حجزه إذا ما قررتما
قال السيد اوتيرو –وماذا بعد انتهاء إجازتك؟
قلت – أعود للعمل ونتدبر امرنا في كركاس.

كنت أشعر أني عرضة لإنفعالات متناقضة ....أنا سعيدة لأني سأتزوج من رجل عشقته من أول لقاء على نحو ما تفعل الفتيات ممن لم تتوفر لهن خبرة سابقة مع الرجال ...وتكمن حالة التناقض في أني أسير مستسلمة ومسحورة بعشقي ، كنت في حالة من الإحساس بأن تلك التناقضات ليس من الممكن التعبير عنها .

كانت السيدة أوتيرو تبسط نفوذها بنعومة ، مدربة دون أن ترتكب خطأ استفزاز رعاياها ، وكان انطونيو ينظر اليها كقديسة في حين كان السيد اوتيرو قد أصبح بحكم العادة أسير نظراتها المفعمة بحنان وهي تتحدث معه .....هي امرأة في الخامسة والخمسين ولكنها تحتفظ بمسحة جمال ارستقراطي مترفع ، لا تضع الكثير من المساحيق على وجهها كما تفعل نساء طبقتها ، كما أنها تقتصد في الحلي التي تتزين بها ....حديثها بلغة اسبانية مترفة وتستعمل في الحديث صيغة التأكيد وكأنها لا ترغب بالاستماع الى رأي مغاير

أما السيد أوتيرو ، فهو شخص لطيف ومجامل يميل أحيانا للنكتة وهو يعمل في عيادته الخاصة منذ ان أحيل الى التقاعد من وظيفته وكيلا لوزارة الصحة الفنزويلية
قال السيد أوتيرو – يمكنكما استعمال البيت الكبير في كركاس .
قالت السيدة اوتيرو-ألا تجد ان الوقت مبكرا ...ربما يمكن تدبير نقل ديني الى مارغريتا
على نحو مفاجئ وكأني أصحو من غفوة سريعة
- لا ...عملي في مستشفى الجامعة لن أغيره ،كما أن انطونيو يعمل في كركاس ولا أرغب أن يبقى وحده أو أن يقطع المسافة بين ماركريتا وكركاس يوميا

كان انطونيو يرقب المناقشة دون أن يتدخل ، ترفّ في عينية ظلال فرح طفولي وهو يرى الجميع مهتمين بأمره
قالت السيدة اوتيرو- لننهي استعداداتنا اولا ، وسنناقش كل هذا لاحقا ...سيكون لدينا الوقت الكافي
اتصلت بالكنيسة وحددت موعد الزفاف
- حسنا لنذهب الى لينور للعرائس لنختار ثوب الفرح والى المطبعة لتحضير بطاقات الدعوة....اوتيرو ...اعمل جهدك ان تكون قائمة اسماء المدعوين من اصدقائك ومن المسؤولين جاهزة اليوم ....وأنت انطونيو ..تعمل ذات الامر...وانت عزيزتي ديني ...هل لديك أسماء ترغبين بدعوتها ؟
- لا ..شكرا
قال انطونيو-ماذا بشأن الحجز في الفندق؟
- آه ...جميل أنك ذكرتني فالجناح بحالة طلب لكبار الزوار وبعض الامراء من الشرق الاوسط ....شركة فنزويلا الدولية للخدمات ،ستتكفل بالباقي ...الطعام .. تنظيم الموائد ...إجراءات الاستقبال ...الفرقة الموسيقية....انطونيو ..هل اخترت بدلة العرس
- لا ولكني سأذهب مع ديني مساء الى كركاس
- حسنا ....

كانت السيدة اوتيرو تعمل كروبوت مبرمج ، فكل ما يتعلق بحفلة الزفاف ،كان مثبتا ...بدت طاقتها اللامتناهية والدقيقة تكشف لي عن امرأة تعودت التسلط واصدار الأوامر، قررت أن أعمل جهدي في أن أكون بعيدة عن دائرة نفوذها.
قالت كارجيا وأنا أعود للفندق-سيدتي ،هل اتفقتم على كل شيء
-نعم وسيكون الزفاف بعد اسبوع
- ولكن هل يمكن تدبير مستلزمات الزفاف ...اليس الوقت ضيقا ؟
-نعم إنه ضيق ولكنك لا تعرفين السيدة اوتيرو....انها تستطيع تغيير العالم في أسبوع
- ليحمك الرب ...مهمة صعبة !
-مهمة صعبة ...
-نعم سيدتي ...العيش مع امرأة بهذه القوة ،مهمة صعبة
- ولكني لن أكون قريبة منها

وأنا استلقي على فراشي ، كنت أفكر عما إذا كان هذا الإندفاع الذي غير مجرى حياتي كلية هو في الاتجاه الصحيح ...في هولندا نحن لانفكر على هذا النحو ، الوقت عامل مهم نستثمره على نحو نعمق فيه من إستيعابنا للمتغيرات، كانت أمي تقول النتائج الجيدة لاتأتي من السرعة في اتخاذ القرار ولكن من السرعة في دراسته.

كنت أشعر أني في حلم ،ربما لا يوجد رابط من الانسجام بين أحداثة ولكنه جميل وكأني مأخوذة بأجوائه الأسطورية أكثر من تفاصيله التي قد تتضمن بعض المنغصات ...ربما هذا هو حال المرأة حينما تكون عاشقة ،قررت أن أنهض ...أخذت حماما دافئا ، ولبست قميصا قطنيا خفيفا وبنطالا من الموسلين الهندي بزهور متشابكة

قالت كارجيا –كم أنت جميلة سيدتي

وأنا أشرب القهوة في صالة الفندق بانتظار انطونيو ، كنت أشعر بهدوء يشمل كياني ..لقد بدا لي أني حددت مسار حياتي المستقبلي على نحو مثالي ،انطونيو يشعرني بسحر الرجولة ، ووضعه العائلي يجعلني أطمئن الى مستقبل رخي بعيد عن المتاعب المالية ...كما أني أحبه وهو يبادلني هذا الحب على نحو يملئني زهوا وغرورا....

قالت كارجيا -.هل ستتأخرين ...اذا سمحت سأخرج للسهرة مع الشاب الذي حدثتك عنه خيسوس ..
.قلت لها وأنا أعود من شرودي - لامانع ...
أعطيتها بعض النقود ....رفضت ...ولكنها أمام الحاحي ...أخذتها وهي تشكرني

حينما جاء انطونيو ، كان يحمل باقة ورد كبيرة منسقة بعناية محترفة ،كانت عشرات من الجوري الأحمر،ولكن شكله المستطيل وأوراقه الملفوفة بقوة الى بعضها ،يجعله متميزا عن الجوري الهولندي ،حوله اغصان مليئة بورود بيضاء صغيرة ، بعضها معرق بلون بني بديع،تشيع منه رائحة هادئة ولكنها عطرة
حين سألت انطونيو ،قال أنها زهور برية ،تنبت في جبال الأنديز ،وهي رسائل عشق بين المحبين ...قلت وهل نحن محبان ....طبع على فمي قبلة خفيفة ،وقال ...بالتأكيد أبعد ...نحن عاشقان .....ليباركنا الرب ونحن نقطع بحر الحياة سوية والى الأبد

كانت سهرة رائقة على كورنيش الكاريبي ...وكان حديثنا عن الزفاف والزواج وبيت كركاس
-هل ترغبين بأن نزور البيت غدا لتأخذي فكرة وتحددي ما إذا كنت ترغبين بإجراء بعض التعديلات او تغيير الاثاث
- ولماذا منذ الان
-ليكون جاهزا عندما ننتقل له ،يمكن اعطاء طلباتنا لشركة متخصصة وسيقومون بالمهمة
-حسنا يمكننا ذلك
- والدتي لن تستطيع مرافقتنا لأنها منشغلة بالتحضيرات، وإن كنت أفضل حضورها لأن لديها خبرة واسعة في أعمال الديكور ...السيدة اورتيرو مهندسة ديكور رغم انها لم تمارس العمل ،فقد أصر والدي على أن تنشغل بأمور البيت، على أية حال سنعتمد عليك

قلت في سري ، خبر جيد ...فأنا أرغب في إختيار مستلزمات سكني بنفسي،ووجود السيدة ارتيرو سيأخذنا الى عصر النهضة الإسبانية التي لا أرتاح لها
قالت كارجيا ونحن في طريقنا الى كركاس بسيارة انطونيو التي اختصرت الوقت الى اقل من نصف ساعة – سيدتي ، أعتقد أني لن أعود معكما ، أنت مشغولة وأنا لم أعد أجد في صحبة خيسوس متعة
- كما تشائين كارجيا ...تحياتي لوالدتك ولأخيك ...

لم استطع أن أشتري لهما شيئا ، اعتذري لي وحاولي أن تشتري أنت لهما .

أعطيتها بعض النقود
.قال انطونيو –لماذا لاتأت معنا ، وبعد أن ننتهي نذهب الى السوق
قالت كارجيا- شكرا سيد انطونيو

كان البيت في وسط شارع البرايسو الذي كان في حينه منطقة الطبقة الموسرة في كركاس ورجال الدولة والجيش....يرتفع المدخل بأربع (دكات) مرمرية بعرض ثلاثة أمتار يليها مساحة على امتداد الواجهة وهي مكسوة بمرمر أخضر زاه ، الباب الخشبي من ظلفتين بعرض مترين لكل منهما وبإرتفاع ثلاثة امتار وهو مصبوغ بلون بني داكن
البناء على الطراز الإسباني ...مدخل ثم مساحة مفتوحة تضم مجموعة من اصص الزهور مرصوفة على مربع المساحة ،وعلى الجانبين غرف تطل ،أبوابها على (الحوش) ،كانت أبواب الغرف مرتفعة وكذلك السقوف كإجراء لمواجهة الرطوبة العالية التي تستمر طوال السنة ، في هولندا الأمر مختلف للحفاظ على
الدفء

وهناك طابق ثان بعدة غرف،كانت الشمس تغمر الحوش حين ترتفع في سماء كاركاس ، وحينما يستمر المطر طوال النهار فإن نظام التصريف المتقن للمياه لايترك إلا آثار البلل وبضع قطرات تظل عالقة فوق الأرضية الحجرية في حين تلتمع أوراق نباتات الورد في أصصها

بعض الغرف مجهزة بحمام ومرافق صحية والأخرى تشترك بحمام ومرافق ، الغرف الاولى مؤثثة بقطع من الخشب المهاكوني....عموما أوحى لي البيت إنه أشبه بفندق أثري.

قلت لديني مقاطعا - هذا الطراز من البيوت كان معروفا في العراق أيضا قبل أن تتضاءل مساحات البناء ونتعرف على السكن العمودي الحديث

قالت ديني-هذا الطراز لايمكن أن يكون في هولندا أو أي من البلاد الأوربية الباردة
على أية حال قلت لإنطونيو – البيت بحاجة الى عملية تغيير شاملة
قال – سنذهب الى شركة متخصصة واطرحي عليهم تصوراتك
قلت –كم يبعد عن الجامعة والمستشفى

قال – ربما أقل من إثنين كيلو متر
قلت – رائع ...سأستطيع استعمال الدراجة الهوائية
قال- لا يمكنك ذلك ...أنت الان من عائلة أوتيرو وستكون لديك سيارة خاصة أما الدراجة ففي النزهات حين نكون في الحدائق أو في الغابة

لم أعلق فقد فهمت ما يقصده ...إن وضعا اجتماعيا سيترتب على زواجي ،هذا الوضع تفرض فيه قيما خاصة ،عليّ احترامها

تم وضع شركة الترميم والديكور وشركة الأثاث ، بصورة كل التغييرات المطلوبة، كنت أشعر أني مطلقة الصلاحية وأن كلف التغيير والتجديد لا تشكل مسألة يمكن ان نقف عندها ..كانت أمي تضع ميزانية لكل تجديد في شقتنا ، وكانت تحرص أن تكون هناك أولويات لتفادي التعرض لمشاكل مالية.
لم يتبق لدينا وقتا للذهاب الى معرض ليونور .

حين عدنا مساء ، كانت السيدة أوتيرو قد قامت بترتيب معظم متطلبات الزفاف وقالت- غدا نذهب الى كركاس ، جهزي نفسك في العاشرة لزيارة معرض ليونور لفساتين العرائس ، كما ستختارين بعض الفساتين الحديثة ومستلزمات الزينة
قلت – هل سنبقى ليوم او إثنين في كركاس
قالت –لا سنعود مساء نفس اليوم
- ولكن هل يكفي يوم واحد
- نعم ...لقد رتبت كل شيء وستجدين أن عليك أن تختاري فقط
قال انطونيو –سأكون معكم
قالت-لا ...إنها شؤون نسائية ...إلا إذا كنت لا تصبر على فراق ديني
قال-إذا أنا برفقتكم !

كانت السيدة أوتيرو قد رتبت كل شيء على نحو مدهش ...أخترنا الفستان وبعض الملابس ومستلزمات الزينة وثلاثة أزواج من الأحذية الإيطالية الحديثة.
حين عدنا الى مارغريتا ، كانت الساعة السادسة مساء ...قالت السيدة أوتيرو إن عليها أن ترتاح في البيت ...
.قال انطونيو- سأوصلك للفندق .

ونحن في الطريق الى الفندق،قال انطونيو-لم نأخذ فرصة للراحة في كركاس، ما رأيك بأن نقضي ساعة في مقهى جديد مصمم على طراز القرن الثامن عشر،إنه قريب من الفندق ..وهو يقدم قهوة برازيلية وحلوى بلجيكية فاخرة.

لم أعترض فقد شعرت أني بحاجة الى أن أختلي بانطونيو لنتحدث بعيد اعن كل هذه التحضيرات المرعبة ...

- بضعة أيام وسنصبح زوجين ...أشعر بسعادة غامرة فأنا متيم بك ...لم يعتريني مثل هذا الإحساس ...من المؤسف أني لا أعرف الكثيرمن شعر الغزل لأسمعك أياه...ولكن مشاعري تتفجر بالحب كينابيع جبال الانديز الدافئة

قلت باستغراب –ولكن هل ينابيع الانديز دافئة فعلا ؟

ضحك وقرصني من خدي- لا تتخابثي ...ولكن التشبيه لن يكون ملائما اذا قلت باردة

- ولكن بأية وسيلة جعلتها دافئة ؟
- بحبي لك ... تحسسي قلبي ، إنه مصدر دفئها

استقبلتنا رائحة القهوة المنتشرة بقوة ...فيما إضاءة خافتة تضفي على المكان غموضا يعطي الموسيقى الناعمة سحرا آسرا...وتصنع أبخرة مكائن القهوة اشكالا هلامية .

شعرت بالراحة وانطونيو يسحب كرسيا وثيرا لأجلس عليه ، أغمضت عيني لبرهة لأحتفظ بعبق المكان وشاعريته ،وضغطت على يد انطونيو شاكرة، فانحنى يقبلني فيما غطى شعره وجهي ،نسيت كل ما مر بي اليوم وكأني في حلم تغرقني نعومة شفتيه وتحملني الى عوالم مسحورة ،مسح على رأسي وجلس الى جانبي.

كان كوب القهوة الكبير يمتلك طعما لاذعا ولكنه لذيذ ، وكانت الشكولاتة تذوب تحت لساني

قال انطونيو – ما رأيك ؟

قلت – سأثق دائما بخياراتك

لم أشأ أن أفسد هذا الجو الرومانسي بحديث عملي ....تركت رأسي على كتف انطونيو، وأنا أغمض عيني مستسلمة لتهويمات أطياف الحب التي كانت تتراكم في مخيلتي ...لم يتكلم ... وأنا أنقل رأسي من كتفه الى صدره ،شعرت أنه كان يشاركني إحساسي ، فقد كنت أسمع وجيب قلبه يدق بقوة ولكن دونما تسارع .

أدرك أني كامرأة عاشقة ،أرى أمامي طريقا واحدا كله ضوء وورد ومشاعر مخدرة ،لا أفكر بأن منعطفا صغيرا قد يغير كل شيء كما يقع عادة في الحياة

بجانبها الواقعي ...أشعر أحينا بأن علي الوقوف والتدقيق في تفاصيل ما حولي ، ولكني سرعان ما أطرد هذه الفكرة ...أنا لا أتعامل في السياسة ،ولا أهتم بجانبي الربح والخسارة ، ما يهمني هو هذه المشاعر الحلوة واللحظات السعيدة ....وفي النهاية ماذا سأخسر ؟

بدأ شريط الاغاني يقدم أغنية اسبانية حزينة ولكنها تلامس القلب ..كانت من أشعار لوركا، والتي هي ممنوعة عادة
تحرك انطونيو بعصبية وهو يعتدل بجلسته ، صحوت من أحلامي ...كان شابا في العشرينات جاد الملامح ،شواربه تتدلى حتى ذقنه ، يوزع على الطاولات ورقة صفراء ، فكرت أنها إعلانا تجاريا ،رمى انطونيو الورقة التي كان قد ألقى عليها نظرة سريعة ....وقال لنغادر !
أخذت الورقة ...كانت إعلانا من تنظيم طلابي يساري يدعو الى المشاركة بتظاهرة الإحتجاج ضد الحكومة ، وحديث عن الفساد والعمالة .

قال انطونيو- الامور تتجه الى التصعيد ، آمل ألا تعرقل زواجنا
-وما علاقة زواجنا بالحكومة ان بقيت أو رحلت ؟ ثم أن المظاهرات ظاهرة ملازمة للحياة السياسية في كركاس !

لم يرد ،وتوجهنا نحو السيارة التي كانت مركونة أمام المقهي ، كان تحت ماسحات الزجاج الأمامي بعضا من المنشور الطلابي،رفعها انطونيو وهو يشتم ببذاءة لم اسمعها منه من قبل .

كلما كنا أقرب كلما تعرفنا على جوانب لا تظهر بالعلاقات الرسمية ،أو كما كانت تقول أمي ...إذا لم تعيشي الحياة المباشرة اليومية مع شخص ما، فلا تحكمي بمعرفتك به .

حينما وضعت رأسي على الوسادة ، قررت أن لا افكر بشيء قد يمنعني من النوم ، أنا متعبة جدا وبحاجة الى نوم عميق يعيد لي نشاطي فأمامي مشوار مرهق ...في هولندا لا يأخذ منا الزواج كل هذا الجهد والوقت ...الأمر بسيط مادام الشخصان ناضجان ويملكان قرارهما ...حتى الكنيسة تساعد على جعل الموضوع بسيطا وميسرا ...هذا إذا كانت هناك حاجة للكنيسة !!!
وغفوت

الفصل الثامن

أيها الزمن ...أوقف طيرانك

لامارتين

لم أكن قد شهدت زواجا في كنيسة ،ولهذا فوجئت بالمراسيم الطويلة وبالصلوات المتكررة ، ولكن شعورا آخر انتابني وأنا أقف مع انطونيو أمام الكاهن وعيون الضيوف المدعوين تحدق بنا ،وصمتا عميقا تفرضه الأجواء الدينية ،كان شعور بالمهابة وشيء من الإنبهار...لم أكن مقتنعة ولكني كنت مأخوذة ....حين وقعنا على وثيقة الزواج وباركنا الكاهن ، تعالت التبريكات وصافحني أناس لا أعرفهم ورجال كانت وجوه بعضهم تحمل نظرات غير ودودة
قبلني السيد والسيدة أوتيرو ودعو لنا بحياة مشتركة وسعيدة ...بعض الارتياح داخلني وانا أخطو خارج الكنيسة الكاثوليكية ....

كان البناء على الطراز القوطي المأخوذ من الطراز الفرنسي....حين دخلت لم أكن قد انتبهت الى الممر الطويل ولا للوحات التي تمثل الفن التشكيلي للقرن السابع عشر ...
كانت بعض اللوحات قد غلبت عليها مواضيع المرأة العاطفية الرقيقة في مشاهد مغمورة بالسعادة والالوان المبهجة ، تتسم الرؤية فيها بالتركيز على الامتاع البصري العابر ، وكانت لوحة كبيرة للسيد المسيح على الصليب تظهرة على نحو يفيض صلابة ولا يبدو عليه أنه يتعرض لكل ذلك العذاب.

أمسك انطونيو بذراعي وهو يقودني الى السيارة المركونة الى الباب ، فتح الباب بحركة مسرحية وقال - لتتفضل سيدتي بأن تشرف هذه السيارة المتواضعة .

إبتسمت دون أن أعلق ...كان يرتدي طقما من الحرير ويضع وردة نرجس بعروة الجاكيت ويعتمر قبعة سوداء عالية ، نزعها وهو يجلس وراء المقود.

عند باب الفندق كانت مجموعة من العازفين انطلقوا بأغنية شائعة ...ستظل حبيبي ...كان اللحن خفيفا ومعبرا عن نوازع الفرح ...
في المدخل اربع فتيات بملابس موحدة يحملن باقات ورد كبيرة وهن يبتسمن وينحنين عند مرورنا ...في الداخل فرقة موسيقية ثانية ، كانت تحتل صدر المدخل عند مكتب الاستقبال ...

تقدم موظف ليقودنا الى الجناح الملكي ،عند الباب أعطاه انطونيو مكافئة وأصر أن يفتح الباب بنفسه ...حملني الى الداخل ...شعرت بسعادة غامرة ، وبحالة من الرضا الشامل يطلق في روحي هدوءا يحملني في غيبوبة وانطونيو يقبلني، كانت الغرفة الواسعة بأثاثها الوثير ،أسيرة ضوء القمر الذي يطل بفضول وهو يقف وسط الشباك الزجاجي الواسع ،لامبال بأن يكشف جسدينا المستلقين فوق شرشف بلون زرقة ماء الكاريبي وهو يستسلم لمويجات رخية تتكسر بدلال فيما يتخللها الضوء الفضي .

الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، بدأ مكيف الهواء الأمريكي يرفع من البرودة اللذيذة ...سحبت الغطاء الخفيف وأنا أتخلص برفق من يد انطونيو التي تشدني من خصري ...سكون شامل يخيم على الكورنيش لا تعكره اهتزازات ضوء القمر فوق سطح الكاريبي ...على السياج كان فتى يحتضن فتاة وكأنهما نائمان جلوسا ..بين اقدامهما عدد من قناني البيرة ..يغيبان عن العالم في ضمة حنان وطمأنينة ....على السرير يتمدد انطونيو براحة ،مرت بذهني لوحة لأخيل، رسمها فنان مجهول ،كنت قد رأيتها في متحف في أمستردام....كان انطونيو يغفو وشعره يغطي نصف وجهه وكأنه يتخفى في لعبة تنكرية ...عدت الى الشباك ...القمر ينحدر الى البحر فقد ملّ التطلع الى الكون الصامت ، والبحر بدا أشد زرقة ...الفتى والفتاة غادرا مقعدهما على سياج الكورنيش. ...وضعت قميصا طويلا ،كان مرميا وسط الغرفة ،على الكرسي ، لماذا جرى كل شيء على هذا النحو ....مرض كارجيا ، وهو الذي قاد الأحداث ، كل شيء حصل صدفة ...ربما أجمل ما فيه أنه لم يشهد انتظارا وترقبا وتخطيطا ...حين جئت من هولندا ..كان كل ما أردته هو أن أغير من نمط حياتي وأكتشف عالما جديدا ...ولكن ما حصل كان أبعد كثيرا ...أن أعشق وأن انتهي بالزواج !! حسنا ، في النهاية ، كل ذلك كان جميلا ولا أشعر أني نادمة علية ...رغم أني لا أدرك تماما الى أين سيقودني هذا الزواج المفعم بالحب وبالمباهج التى لم أكن أعرفها

حين استيقظ انطونيو كنت قد غفوت على الكرسي الهزاز أمام الشباك ،طبع قبلة على جبيني وهو يوقظني برفق ،كانت الشمس التي تطل علينا من الجانب الشرقي قد غمرت البحر بضوء حاد يلصف في ثنايا الموجات المتسارعة برفق الى الشاطئ ،تناولنا الإفطار في الجناح .

- سنظل هنا لثلاث ليال ثم نغادر الى البيت ،والدتي أخبرتني بأنها أعدت لنا غرفة كبيرة ملحق بها حمام ومرافق ، ما رأيك ؟

-لا بد من القول أن السيدة أوتيرو لاتترك شيئا دونما إعداد دقيق ...بكل الأحوال هي مشكورة على ما تفعله من أجلنا
- لقد أتصلت بوزارة الدفاع لتمديد إجازتي اسبوعا وقد وافقوا على ذلك...سنغادر سوية الى كركاس وأرجو ان تفي الشركة بوعدها وتنجز ما طلبناه بشأن المنزل!
- مما رأيته أعتقد أنهم جادون
- لاتنخدعي بالمظاهر في فنزويلا ...سنرى

كانت ثلاث ليال مفعمة بالحب وشعرت ان المكان يشاركني بهجتي، فهو يبتسم في ظلاله المفتوحة للشمس وضوء القمر ومناغاة البحر الرقيقة ...وكل من ألتقيه يقدم ودا مجانيا وهو يرمقني باحترام شديد...انطونيو ، كان رائعا بمعاملته وهو يتأمل كل خلجة ترف في عيني .

في المنزل ، كانت السيدة والسيد أوتيرو بانتظارنا ..تحمل السيدة اوتيرو باقة ورد غاية في الجمال تفوح منها رائحة عبقة تنتشر في المدخل بشذا أسرا،قبلانا كلاهما ، وقادتني السيدة اوتيرو الى غرفتنا فيما كانت مدبرة المنزل تحث الخادمة على حمل الحقيبة .

حين كنا على الغداء ، بدأت السيدة اوتيرو أول دروسها !!! حرصت الا تكون مباشرة ..تحدثت عن عادات المجتمع الراقي في فنزويلا في جوانب متعددة من الحياة العائلية ....كما تعلمين الفنزوليين من اتباع الكنيسة الكاثوليكية ،ولهذا فالعائلة حريصة على اتباع أوامر الرب ...لا موانع حمل ولا إجهاض ...كان انطونيو منشغلا مع أبيه في حديث سياسي عن مستقبل الحكومة ...هناك إجتماع مهم لقيادات الحزب الديمقراطي ، عليك أن تتفرغ لمرافقتي فقد أصبح من الضروري أن تشارك وتهتم بمستقبلك السياسي ....رد انطونيو ..إنه يفكر بهذا أيضا.

سألت انطونيو -الرئيس جيمينيز هو رئيس الحزب ايضا
-نعم هورئيس حزب العمل الديمقراطي
- ولكن ما عرفته من المظاهرات والإحتجاجات فأن الحكومة لاعلاقة لها بالديمقراطية!
- هذا يتوقف على ماذا نعنيه بالديمقراطية ...قال السيد اورتيرو
- ما لنا والسياسة ...لنتركها للرجال ...قالت السيدة أرتيرو

لم أعلق ولكن انطباعا تولد لدي ، أن عائلة السيد أرتيرو من المحافظين و

أنهم مع حكومة الرئيس جيمينيز

كان أول يوم لي في المستشفى حافلا ....استقبلني الجميع بالتهاني ..أنا الآن فنزويلية ....كانت كارجيا قد أشاعت الخبر.

سألتني كارجيا إن كنت سأبقى موقتا في غرفتي أم أني سأنتقل الى الفيلا ...قلت لها لقد ذهب انطونيو ليتأكد من أن الشركة قد أنجزت العمل وأن الفيلا جاهزة.

حين استدعاني مدير المستشفى ،كان يعبر عن سروره لأن واحدة من منتسبي مستشفاه هي من عائلة أوتيرو....قال ،بأن السيد أوتيرو هو من عيّنه مديرا للمستشفى كما أنه من أعاد المستشفى الى سابق عهده ، مؤسسة صحية تحظى بالاحترام .

عند الظهيرة إتصل انطونيو ليعلمني أن الشركة تطلب أسبوعا لإنجاز عملها وعرض عليّ السكن في فندق ...قلت له لا أفضل ذلك ،سأكون في غرفتي وسنلتقي كل يوم بعد إنجاز عملي ...صمت برهة ...خمّنت أن ردي لم يرق له ولكنه لم يحتج ..قال حسنا ، كما تشائين .

صباح اليوم التالي وجدت أن الإدارة أصدرت أمرا بنقلي الى العمل في الصيدلية ...كان هذا أول المساعدات لعائلة أوتيرو

حين انتقلت الى الفيلا ،حملت كارجيا حقائبي الى السيارة ،وحينما همت بالركوب معنا ...قال انطونيو بأدب ...شكرا كارجيا فلدينا من يساعد السيدة ...ربما يحتاجوك في المستشفى
ردت بانكسار – نعم سيدي ؟...هذا صحيح
حين سألت أنطونيو – لماذا فعلت ذلك ..تعرف أنها قريبة مني
قال- أنا لا أثق بمشاغبي الشبيبة وهي واحدة منهم
قلت-لاأفهم ...وما دخل الشبيبة هنا
قال- أنت غارقة في عملك ولا تنظري إلا الى جانب إنجازه ..وهي عاملة نشطة وربما خدومة ...ولكن هذا لايغير انها واحدة من أعضاء منظمة هي ذراع للحزب الشيوعي
- ثم.....
- أنهم وراء هذا الشغب اليومي ضد الحكومة
- وهل هذا يعنينا

- نعم ياعزيزتي ...ومسألة مهمة ...قد تكون مكلّفة من المنظمة بمراقبتنا ...أعني مراقبتي
- ولماذا ؟
- نحن من قيادات الحزب الحاكم الذي يعملون على إزاحته .

صمت ولم أعرف ما أرد به ...إذا ، وعلى نحو مفاجئ ، أنا من عائلة قريبة من الحكومة ...كنت في هولندا غير معنية برئيس الحي الذي أسكنه أو برئيس قسم التمريض في المستشفى ، اليوم يجب أن أكون معنية برئيس الدولة وبالسياسة الفنزويلية .....وكارجيا ..واحدة من خصوم الحكومة ...!!!!

كانت الفيلا قد تغيرت تماما ،فهي الان سكن عصري رغم أنها تحتفظ ببعض المظاهر الأثرية ...ما زالت (الفازات) الاسبانية الكبيرة في المدخل ، وأصص الورد على امتداد جوانب (الحوش) ، وفي الصالة الواسعة ،لوحة كبيرة هي نسخة عن لوحة فيلاسكينر (الناسجات) ولوحة بالوان متناسقة لرقصة الفلامنكو ،ركز الرسام على ابراز مفاتن صدر الراقصة الغجرية ...إعتبرت مثل هذه الامور ثانوية ، وإنه من المهم تجاوزها وإلا فان القضايا الخلافية ستكون أكبرمن أن أحيط بها ....كانت الفيلا على الطريق الرئيس للجامعة وهذا ما جعلني ملازمة لرؤية مظاهرات الطلبة ومسيراتهم التي لاتنتهي ...كيف يستطيع الحاكم أن يطمئن في قصره ...قال انطونيو ...ثلاث سنوات وجيمي صامد ونحن ندعمه بقوة ....ان المخاطر تعبر من كوبا وحركة التمرد التي يقودها كاسترو ، اذا ما نجحت فإن فنزويلا ستواجه خطرا حقيقيا ... الشيوعيون يروجون للمثال الكوبي.

لقد اصبحت قريبة من الشأن الذي لا أ طيق الحديث عنه أو به ...ولأن المظاهرات لا تتوقف،فإن الحديث عن السياسة يستمر

كانت أيامي مع انطونيو مليئة بالسعادة والبهجة ولكن حديث السيدة أتيرو عن الاطفال كان يضايقني ...لم أكن ضد الإنجاب ولكن الموضوع بحاجة الى بعض الصبر.....وحين أخبرت انطونيو بأني حامل ، لم يهاتف أمه ...أخذ السيارة وذهب الى جزيرة مرغريتا .

جاءت السيدة اوتيرو وهي تحمل على ملامح وجهها عاصفة من الفرح واللهفة...قالت ...لقد مدت عائلة ا وتيرو جذورها أخيرا .

أشهر الحمل لم تكن صعبة ، كان الجميع يتسابق لمساعدتي ...قابل السيد أوتيرو مدير المستشفى ليغض الطرف عن دوامي بعد أن رفضت اقتراحه بترك العمل، أشعر أني غيرت انتمائي ...أنا الان فنزويلية ...وكان هذا الشعور يربكني فأسأل نفسي ولكن أية فنزويلا ؟ ....إبني يحمل دماء اسبانية!!

كانت كارجيا قد بدأت تتجنبني معتقدة أن لدي تعليمات مشددة من انطونيو بالابتعاد عنها ...وجدت أن هذا الموضوع يناقض افكاري ...قلت لها يوما ...كارجيا انت بمثابة أخت صغرى ...وأنا احترمك...أرجو ألا تنسي هذا ...قالت بمشيئة الرب ...
ضحكت وأنا أربت على كتفها ...نصيرة للحزب الشيوعي ، وبمشيئة الرب قالت- ولكن الحزب لا يحارب الرب إنه يحارب جيمي .

بدأت بين حين وآخر ، آلام حادة ،تنتابني ،قال الطبيب إن عليّ أن أتجنب العمل المرهق ...قال إنطونيو ...لابد من ترك العمل ...وإنه يستطيع التوسط لدى مدير المستشفى...قالت السيدة اوتيرو ...لن نستطيع أن نعرض إبننا للخطر ...شعرت بأني مجرد حاضنة ، سائني ذلك ، ولكني صممت على تجنب المماحكة...جاء الدكتور اوتيرو الى المستشفى ...إستدعاني المدير قال بأن عليّ أن أقدم طلبا بإجازة ولادة وحيث أني متعاقدة فستكون بدون مرتب ...ضحك الدكتور اوتيرو وقال ...ستكون بأجر كامل مني .

خرجت مع الدكتور اوتيرو... قال – دعي سيارتك في الموقف وسيحضر انطونيو لإعادتها .
مساء كنا جميعا نتناول العشاء في مطعم لبناني ...كان الطعام مختلفا ولكني وجدته لذيذا ولكن السيدة اوتيرو أصرت أن تتناول البابيلا ، وهي طبق اسباني معقد ويحتاج الى معدة مدربة ،قالت ...هل فكرتم باسم حفيدي ...ظهر الحرج على وجه السيد اوتيرو، أما انطونيو فقد ابتسم بسرور طافح ...هذا شأن الام ...قالت السيدة اوتيرو ...من حيث المبدأ صحيح ...ولكني سأصبح لأول مرة جدة ...سيدفعني هذا القادم الجديد الى الظل ....وإلا ماذا تعني الجدة ؟ قال السيد أوتيرو ..تعني حياة جديدة ...أو على الاقل تجديد للحياة ...

لم أشترك في الحديث ...كنت أعاني من آلام الحمل ...قام الدكتور اوتيرو بفحصي في غرفة إدارة المطعم ...قرر أن نذهب فورا الى المستشفى ...كان انطونيو يقود السيارة بسرعة،

قال الطبيب- أقترح أن تبيت عندنا ...فهي في حالة ولادة مبكرة ...لاتقلقي سيدتي فأولاد السبعة أشهر معظمهم ساسة كبار ...أليس كذلك دكتور أوتيرو ؟
قلت ...إذا ليتأخر ...هل بالإمكان ذلك دكتور ؟
قال الطبيب وهو يبتسم ....نعم ..ولكن بشرطين ..الأول أن تخلدي لراحة تامة ...أما الثاني ..صمت وهو يتطلع الى السيدة أوتيرو ،التي بدت مستغربة ...أن تعاهدوني ....بماذا ..قال انطونيو ....بأن يبتعد عن السياسة !!ابتسم الجميع لمداعبة الطبيب ...قال لا تخافي ...سيكون صبيا يملأ البيت بشقاوة أبناء عائلة أوتيرو وقوة خالاته الهولنديات ....

قرر الجميع أن أظل في البيت وأن أحرص على عدم القيام بأي جهد لسلامة الجنين ...شعرت بأني ..أدخل في مرحلة تحول جديد ...من امرأة الى أم ...فجأة راودني إحساس بأني مسؤولة ...دور جديد علي أن أعيشه ...لامست بطني برقة ...حسنا أيها الصبي المختلط ...أنت نصف اسباني ونصف هولندي ولكنك في النهاية فنزويلي

كان انطونيو حنونا ورقيقا في معاملتي ،قال -ماذا تقترحين ؟
- بخصوص
- أسم إبننا
- هل لديك اسم محدد
- لا
- رينيه
- رينيه انطونيو اوتيرو ...جميل ...جميل وموسيقي ...كم أنت عبقرية
كان فرحا في عينيه سعادة لوّنت وجهه الاسمر بحمرة آسرة ...رفع سماعة الهاتف
-ماما سنسميه رينيه
-رينيه ....إنه إسم مزدوج
-ماذا!!
-أعني إنه اسم للولد وللبنت ...لماذا لاتختارون اسم رجالي ...في تاريخ العائلة أسماء كبيرة
- ولكنه يحمل صدى موسيقيا وينسجم مع اسمي
- اذا كانت رغبتكم فلا بأس
وأنا أنظر الى وجه انطونيو الذي تراجعت عن ملامحه مظاهر السعادة ، شعرت بخيبة أمل ، ولكني شجعته – المهم احساسك أنت ، واذا كان لابد من تغييره فأنا موافقة
- لا .....قالها بغيض .

حاول انطونيو أن يعود الى عمله السابق ضابطا طيارا ولكن الدائرة الطبية في القوة الجوية لم توافق ...كان الحادث الذي تعرض له قد خلف له عرجا خفيفا في مشيته ...توسط له السيد أوتيرو ولكن الرفض ظل قائما ،وحين دعا قائد القيادة الجوية السيد أوتيرو ، تجدد الأمل لدى انطونيو ....يقول أن قيادة طائرة عسكرية كان حلما راوده منذ الطفولة ،وإنه لم يختر غيره طوال سنوات دراسته...لقد وجدت أنه من المؤلم أن تحول موانع ما بين الإنسان وطموحاته ...من هنا كنت أحاول التخفيف عليه ...قال قائد القوة الجوية ..إنه يأسف لعدم امكانية عودة انطونيو للطيران ... لهذا فسيتم منحه قدما للترفيع وسيرسل في بعثة لدراسة عمليات التخطيط
لم يوافق انطونيو على الإلتحاق بالبعثة الى الولايات المتحدة الامريكية ...وقرر ان يقبل بالواقع وأن يدرس في الكلية العسكرية للحصول على الماجستير في الادارة والتخطيط
كنا نتهيأ لإستقبال رينيه الذي بدأت حركته تزداد قوة وتكرارا ...أشعرني ذلك بسعادة عميقة وكنت حين يتوقف أستحثه بملامسة سطح بطني برفق ، فيستجيب وكأنه يفهم ما أريده .....
-انطونيو ..سيكون ابنك ذكيا ...
قال -بالتأكيد فهو من عائلة اوتيرو ...أليس كذلك ؟

إنشغلت السيدة اوتيرو بالبحث عن ملابس للطفل واختارت سريرا هزازا بلون لبني وفراشا بزهور برية ، وأصرت على أن تشرف بنفسها على إعداد غرفة رينيه ..كانت الغرفة المجاورة لغرفة نومنا ...فتحت بابا يطل على غرفته وغلفت الجدران بورق خفيف الزرقة وعلقت الكثير من الدمى والالعاب ...بقيت تحضر يوميا أول الصباح من مارغريتا الى كركاس ولم توافق على البقاء معنا ...كانت تصر على أنها لا تقدر ان تترك السيد اوتيرو بمفرده ..ديني عليك أن تعرفي أن التعب أهون كثيرا من القلق .

حين جائني المخاض اتصلت الخادمة بانطونيو ، انتابتني آلم حاد ...كانت الساعة العاشرة حين ذهبنا الى المستشفى ...وفي الثالثة جاء رينيه ...كان شديد الشبه بأبيه ، عدا أنه يتطلع بحدة فيما يدير عينيه الواسعتين فيما حوله ...وفي الاشهر الاولى بدت عليه مظاهر هدوء متأمل ...حينما يجوع يضرب بقدميه الفراش بقوة ...وحينما تضايقه الغازات كان يزم شفتيه وكأنه يكتم معاناته...وحينما بدأ المشي لحظت أنه يبذل جهدا ليقف دون معاونة
قلت لإنطونيو –ماذا بشأن رينيه ؟
قال – ماذا بشأنه ، أنه بصحة جيدة

- ليس هذا ...إنه شخصية تثير فضولي ...لا أدري هل أفرح أم أكون قلقة حول مستقبله
- حسنا أن فنزويلا تنتظر زعيما
- ارجو ألا تسخر ...ثم هل تحتاج فنزويلا الى زعيم جديد ...لديكم زعماء في كل قرية ...إذا لم يكن الفنزويليين كلهم زعماء

توقفت داني عن الحديث وهي تنظر في عيني مباشرة :أراك تبتسم وأدرك أنك تعتقد أني أبالغ بحديثي عن رينيه ...أنت تقول أن كل أم ترى في ابنها عبقري ينتظره العالم ...نعم كنت مؤمنة بذلك
لم أرد عليها، رجوتها أن تواصل الحديث

قالت- حسنا ....كانت السيدة اوتيرو تتدخل بكل تفاصيل العناية به ...وبعد السنة الاولى ،اقترحت أن تقوم هي بتربيته ، أي أن ينتقل معها الى ما رغريتا ...لم أوافق...قالت بأن عملي يشغلني طوال النهار وأن انطونيو يشغلني طوال الليل ...قلت يمكن أن أترك العمل فلا تضطريني الى ذلك .....كنت اتحدث معه باللغة الهولندية ....وفي الثالثة كان يفهم الهولندية والاسبانية .....ويردد الأناشيد الهولندية ،وحينما يرغب بالنوم كنت أقرأ له قصصا للأطفال بالهولندية .

كنا في أواخر 1957 وكانت الاحداث السياسية في كركاس تنحو نحو مزيد من العنف فيما الاحتجاجات تتوسع وأصبحت مظاهرات الطلبة اليومية تضم مئات العمال والكسبة ...وتردد اسم وولف كانك لا رسبال كزعيم محتمل ...سألت انطونيو فقال ...زعيم التكتل الذي يقوده الحزب الشيوعي ... لن يقبل الشعب به...قلت ...المظاهرات ترفع صوره ...من هو الشعب ؟...

قبل نهاية العام عقد اجتماع في بيتنا لعدد من السياسيين وكبار موظفي الدولة ..كان المتحدث السيد اوتيرو...بعد إن شرح خطورة الموقف ، طلب القيام بحركة انقلابية لقطع الطريق على التكتل الشيوعي ....كنت اسمع حديثهم بصورة جلية فقد كانوا يتحدثون بصوت مرتفع ...بعد ان احتدم النقاش بين الموافقين والمعارضين ...طلب السيد اوتيرو فض الاجتماع والتفكير بروية على أن يعقد اجتماع حاسم لإتخاذ القرار.

قلت لإنطونيو الذي كان ضمن المؤيدين للحركة الانقلابية – الموقف خطير وقد نتعرض جميعا الى مشاكل جدية
قال – أدرك ذلك وأعتقد أن الشهر القادم سيشهد معارك في الشوارع .

رتّب أن أنتقل مع أمه ورينيه الى كولومبيا ...كما قال أن ما يزيد الامر خطورة أن كاسترو يهدد العاصمة هافانا وقد يدخلها قريبا

في المساء جاءت كارجيا – سيدتي غدا سيبدأ إضرابا عاما والمعلومات تشير الى أن معظم قطعات الجيش مع المتظاهرين ...ولأن السيد اوتيرو من زعماء حزب العمل الديمقراطي الموالي لجيمي فأنا أرجوك أن تغادري فنزويلا

-شكرا سنتحرك صباح الغد
جمعت بعض الملابس الضرورية وقطع المجوهرات ...جاءت السيدة اوتيرو ليلا ومعها ثلاث حقائب كبيرة ...كانت خائفة وحتى لم تعتني بشعرها الذي بدا خشنا ومجعدا ...لم تستطع أن تسيطر على حركة يدها وهي تتناول الشاي ...لم ننم تلك الليلة ...في الرابعة خرجنا من المنزل يداخلني شعور أني لن أعود له ..وتعصر قلبي غصة ...ضممت رينيه الى صدري ...فيما كانت السيدة اوتيرو ترتل مزامير داوود ....سألت انطونيو عن أبيه ...قال أنه بحكم مسؤوليته الحزبية كعضو في المكتب السياسي لحزب العمل الديمقراطي ، لايمكنه مغادرة البلاد.

مساء كان في انتظارنا في نقطة الحدود الغربية موظفان من وزارة الداخلية الكولومبية ، انهوا معاملات الدخول الرسمية وقادونا الى أحد بيوت الضيافة الحكومية في مدينة صغيرة على مقربة من العاصمة بوغوتا....كانت رحلة شاقة ، عبرنا اولا سلسلة من الجبال ثم طرقا لم تمر بنا فيها سيارة أو عابرون فقد كانت عبر غابات تسودها ظلمة شاملة ولا تسمع فيها إلا أصوات الحيوانات المتوحشة وصفير الريح وهي تتخطى الاشجار ...

صباح اليوم التالي ، زارنا عمدة القرية برفقة قس كاثوليكي ...قالا بانهما يرجوانا أن نعتبر أنفسنا مع اصدقاء ...وأن لا نتردد في طلب كل ما نحتاجه قال انطونيو – سوف لن ننسى كل هذه الحفاوة ...ولكنا نأمل أن ننتقل غدا الى بوغوتا لوجود حجز لدينا في أحد الفنادق .
قال العمدة –يسرني ان ابلغكم بأن ا لتعليمات لدي هي تسهيل مهمة إقامتكم فأنتم في ضيافة الحكومة الكولومبية ...ولكن اذا فضلتم السكن في فندق فهو خياركم

كان الفندق معلقا على هضبة جبل ...قال انطونيو إنه على ارتفاع اكثر من الفين وخمسمئة متر ...لم نزل نعاني من الارهاق ...فذهبنا الى أسرتنا ...لم يرغب رينيه بالنوم ..كان يتطلع الى المدينة الغريبة بحركتها التي لاتهدأ

وأصوات وسائل النقل وهي ما تنفك تصدر أصواتا حادة ...أغلقت النافذة المطلة على ساحة كبيرة مليئة بأناس بهيئات مختلفة

كانت بوغوتا ،تضج بالحركة وعلى امتداد الشارع الواسع ، كانت القصور القديمة بمعمارها من مرحلة الاستعمار الاسباني ،ذات الشبكة الحديدية ' المتقاطعة بالشوارع الضيقة القريبة من الميدان وكذلك تحيط بها الأبواب الخشبية المنقوشة والأسقف ذات البلاط البني.

عند الافطار، كانت الصحف الكولومبية الموضوعة على طاولة جانبية ، على صفحاتها الاولى ما نشيتات عريضة باللون الأحمر تتحدث عن الوضع المتفجر في كركاس
قال انطونيو – اذا شئنا ان نريح أنفسنا فعلينا أن لا نقرأ الصحف.

كان على الخط الهاتفي من كركاس السيد اوتيرو ...قال لإنطونيو ..كل شيء متوقع ولا يمكن السيطرة على مجريات الأحداث فقد تخلى الجيش عن الحكومة ...من جانبي أعتقد أن جيمي ربما يغادر بأية لحظة ....الشيوعيون وأنصارهم يظهرون تماسكا لم يكن متوقعا ...وقد يتم تنصيب اليساري القديم لارسبال لتهدئة الشارع والقطعات العسكرية التي أعلنت العصيان
قال انطونو – ماذا بشأنك ؟ لماذا لاتلتحق بنا
-ليس لي إلا أن أبقى
-إعتن بنفسك ...ماما تطلب محادثتك

كانت السيدة اوتيرو التي لم تنم امس مفضلة القراءة في الكتاب المقدس ،تبدي مقاومة لمواجهة الخوف المتنامي في مخيلتها
قال السيد أوتيرو –اعطوني رينيه ...أشتاق الى حفيدي ...
قال رينيه – جدو لماذا لاتحضر ....سنذهب الى مدينة الالعاب.

مرت احتفالات رأس السنة الجديدة الصاخبة في بوغوتا ونحن نجلس في البلكون الواسع المطل على الساحة ....كان الطقس باردا والجماهير المحتفلة تتلفع بمعاطف سميكة ...الزجاج الذي يعزل البلكون عن الفضاء الخارجي يحمينا ....

في الصباح كان الخبر الأول لإذاعة الكولمبية هو تخلي جيمينيز عن السلطة ومغادرته فنزويلا الى اسبانيا ، وتولي وولف كانك لارسيال السلطة رسميا...لم

يترك لنا الخبر الرغبة في تناول الافطار...بدت السيدة اوتيرو منهارة تماما ..كانت نظراتها زائغة لا تستقر ...
قال انطونيو ...أخاف على أبي..
.قلت ...لننتظر تطور الاحداث ....كل شيء واضح، لقد سيطر الشيوعيون على الحكم ...
تجمعنا حول الراديو نستمع الى سلسلة من الاوامر العسكرية والقرارات المتعلقة بتصفية مراكز الحكومة القديمة ...في المساء صدرت قائمة باسماء أعضاء القيادة في حزب العمل الديمقراطي ، المطلوب اعتقالهم ...كان من بينهم السيد اوتيرو
وجدت نفسي فجأة وسط نشاط سياسي تحفه المخاطر ، كما أصبحت لاجئة في كولومبيا دونما أية مبررات ....جئت ممرضة لأساعد في تخفيف آلام المرضى وأصبحت في مركز نشاط لا أدري أين يتجه.

حين تم استدعاء انطونيو الى دائرة المخابرات في بوغوتا ، إنتابنا القلق وفكرنا أن السلطات الكولمبية لآ تريد أن تزج نفسها في مشاكل غير واضحة المعالم بعد ...ولكنه حينما عاد طمئننا ....أنهم طلبوا منه ألآ يمارس أية نشاطات سياسية ،عدا ذلك فنحن ضيوف الحكومة الكولمبية

حين وصلت صحيفة نوتيسياس من فنزويلا الى مكتبات بوغوتا ، كانت النسخة الاولى قد أوصى عليها انطونيو.
نشرت الصحيفة تحليلات متنوعة عن مسار العملية السياسية والتي في مجملها تشير بوضوح الى سيطرت التحالف الذي يقوده الشيوعيون على الحكم بمعاونة العناصر اليسارية المنشقة من حزب العمل الديمقراطي الذي كان يدعم جيمي .

قررنا أن نستقر في بوغوتا ، بعد أن علمنا أن السيد اوتيرو يلقى معاملة حسنة في المعتقل العسكري ، كما علم انطونيو ان النية لدى الحكومة الجديدة تتجه الى اطلاق سراح المعتقلين غير الفاعلين او المؤثرين في استقرار الاوضاع.

تقدم انطونيو بطلب شراء دار في بوغوتا ، انتقلنا اليها بعد اجراء بعض التعديلات.

كان أكثرنا تأثرا السيدة اوتيرو التي كانت تعتكف في غرفتها معظم الوقت لتقرأ في الكتاب المقدس أو لترتل مزامير داوود.....كانت لاتأنس إلا لرينيه الذي يجلس القرفصاء على الأرض وهو ينصت لها ،كنت ابعده بإغرائه بالذهاب الى

مدينة الألعاب ...منطلقة من كوني ليبرالية لست على وفاق فكري مع الكاثوليكية .

علاقتي بإنطونيو شابها شيء من الفتور وخلت من التوهج الاسر الذي كان يشدني اليه ...كنت أعزو هذا التراجع الى التغير الذي بدأ في سلوكه ...أصبح يهرب وراء صمت مناور وكأنه جدار يحتمي خلفة ليحتفظ بنواياه ...شعرت أني لست جزءا من هذه النوايا ...وكثيرا ما يتكلم من هاتف الفندق في مكتب الاستقبال ....

قال – اعتقد أن من الضروري أن أعود الى كركاس للإلتحاق بوظيفتي
- ولكن الوضع ما يزال غامضا
- نعم ...ولكن تم دعوة كافة الموظفين للإلتحاق بعملهم وخلافة سيتم فصلهم
- وماذا بشأني ورينية وأمك
- ستبقون هنا وسأطمئن عليكم بالهاتف يوميا ...وفور تحسن الأوضاع سأحضر لإعادتكم ...رينيه يجب أن يدخل المدرسة
- هل كلمت السيدة اوتيرو
- نعم

أضاف هذا الموقف شعورا بالمرارة لدي ....بدا انطونيو انحف وبان عليه التعب، وران على نظراته حزن مشوب بالانكسار ...أشفقت عليه ولكني لم أشر الى ذلك.

صباح اليوم التالي لمغادرته شعرت بأسى يعصر قلبي، ولكني انشغلت برينية، كنت أحرص على معاونته في دراسة...كما كنت أعمل جاهدة على إخراج السيدة اوتيرو من عزلتها ...وبعد أربعة أشهر توصلت الى قناعة بأني نجحت في المهمتين.

الفصل التاسع

الرغبة نصف الحياة ، أما عدم الإكتراث فنصف الموت

جبران خليل جبران

لقد بدأت أتعاطف مع السيدة اوتيرو ،كنت اجلس معها لأحدثها بعيدا عن السياسة ومشاكل الحياة اليومية، وأطلب من رينيه أن يغريها بالخروج معه الى الحديقة العامة التي في الجوار ، حيث العديد من الأشخاص يتنزهون أو يستمتعون بدفء الشمس حينما يكون الجو صحوا.

كانت قد تغيرت تماما وبدا عليها ثقل أحداث السنة المنصرمة ، في إهمالها لزينتها وعدم العناية بشعرها وتغضنات غزت وجهها ...وكان إصرارها على الوحدة ومواصلة القراءة في الكتاب المقدس أو ترتيل مزامير داوود بصوت خافت ومتهدج يوحيان بالخوف الذي تزيده المواعظ ...كما أن انشغال السيد اوتيرو بالسياسة كان يؤرقها فقد كانت أخبار التصفيات تتكاثر في الصحف الفنزويلية التي تشتريها من المكتبة على ناصية الشارع الذي نسكن فيه ،كما أن غياب انطونيو كان يضيف لها هما جديدا .

لم يكن الوضع في كركاس مطمئنا ، فالجبهة التي نجح الحزب الشيوعي في تكوينها بدأت تظهر عليها بوادر الانشقاق ، وكان أول المنسحبين الأعضاء اليساريين في حزب العمل الديمقراطي ،كما نشط اليمين الفنزويلي بدعم السفارة الامريكية ...ثم ظهرت جبهة واسعة تدعو للتغيير ...في كانون الثاني عام 1959 استطاع المعارضون فرض انسحاب لارسبال وتنصيب الجنرال المنفي رومولويوتانكور ، كان تانكور يساريا معتدلا ترأس قيادة حزب العمل الديمقراطي ووعد بانقاذ البلاد من وضعها الإقتصادي المنهار.

حين جاء انطونيو ، كنت في الحديقة العامة مع رينيه ...قالت الخادمة ..السيد انطونيو في انتظاركما ،قفز رينيه من فوق الحصان الخشبي ..بصعوبة لحقت به قبل أن يخرج الى الشارع راكضا ...حاول ان يتخلص من يدي ولكني امسكت به بقوة
-نحن ذاهبان الى البيت
-بابا ينتظرني
-نعم ولكن السيارات مسرعة وأخشى أن تتعرض لحادث ....
كان انطونيو أقل انطلاقا وأكثر جدية ويحمل وجهه تعابير من يطوي سرا لا يرغب الإفصاح عنه أو أن يعرفه الآخرون ...

-كيف انتم ....قال ذلك بآلية وهو يحتضن رينيه الذي تشبث برقبته
-بخير .....
خيبة أمل حادة انتابتني ولكني سيطرت على مشاعري .

ربما كانت لهجتي الخالية من أي رنين عاطفي هي التي دفعت انطونيو الى الإلتفات نحوي باستغراب

كانت السيدة اوتيرو تنظر الى ولدها بحب وهي صامتة
قال انطونيو – الامور الان افضل ...هناك أمل بأن يحصل انفراج سياسي قريب ...وقد عاد الوالد يمارس عمله في ميرغريتا ، وتم ترفيعي الى رتبة مقدم ..سنعود جميعا خلال اسبوع بعد أن نصفّي كل شيء هنا
قالت السيدة اوتيرو- ولماذا لم يحضر والدك؟

كان صوتها خاليا من أي جرس ، صوت أصم يوحي بالاحباط العميق فقط.

-أعاد تأثيث العيادة التي تم نهبها ،ومهامه السياسية الجديدة في حزب العمل الديمقراطي لا تعطيه الفرصة للحضور ، وقد كلفني أن أقوم بالمهمة.

تنهدت السيدة اوتيرو –حسنا ،هذه هي الحياة !!

أدركت ، ونحن نجمع حاجياتنا ، إن علي أن أهيئ نفسي لمرحلة جديدة .....ونحن في الطريق الى كركاس عبر الغابات الرطبة ...شعرت أني غريبة عن كل ما يجري حولي ...سنوات مرت هنا ولكني أشعر الان أني لن أكون فنزويلية ...كل ما حولي هو مغاير تماما لما أقتنع به من مفاهيم ...كيف لي أن أشرح لانطونيو مشاعري ...أجد أن بيني وبين الناس هنا مسافة لا يمكن القفز فوقها أو حتى عبورها ببطئ عبر سنوات ...الخلاف في الجوهر ، ولهذا فإن بقائي لن يزيد الامور الا سوء .

قال انطونيو –ربما سأنشغل عنكم فالوضع لم يستقر بعد
قالت السيدة اوتيرو – هل افهم إنك قد دخلت دائرة تدمير البلد ؟
قال انطونيو –لم أفهم ...عن أية دائرة تتحدثين
-الرجاء بالرب خير من الرجاء بالرؤساء
-أمي الرب لن يجبر وولف كانك لارسبال على الاستقالة
- وانتم ستجبروه ...وغدا سيجبرونكم ...

صمتت برهة تتطلع في الأشجار المتشابكة على امتداد الطريق ، وبدأت تنشد: سبحوا الرب من السموات ، سبحوه في الأعالي ... سبحيه يا أيتها الشمس والقمر ، سبحيه يا جميع كواكب النور . سبحيه يا سماء السموات ، ويا أيتها المياه التي فوق السموات ... سبحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج ، النار والبرد ، الثلج والضباب .. الريح العاصفة الصانعة كلمته . الجبال وكل الآكام . الشجر المثمر وكل الأرز.

زاد انطونيو من سرعة السيارة ، وصفق رينيه جذلا في حين انكمشت في مقعدي ...صوت السيدة اوتيرو الرخيم كان أشد عمقا في صمت الغابة المترقب، عبرنا منطقة تلفها دكنة لا يضيئها الا أنوار السيارة ، بدأ رينيه يشعر بالخوف ...ركود غريب يرين على الطريق ...شعرت إنّا نجري خارج العالم فيما بدأت نسائم رطبة تعبر الطريق ببطئ ؛ تخيلت أنها تقف فوق وجوههنا لتتعرف علينا

.قلت لإنطونيو أن يفتح الراديو فقد يخفف صوته من وطأة السكون والوحشة قال المذيع أن القصر الجمهوري في كركاس تحاصره قطعات من الجيش وأن الجنرال لارسبال يفاوض القادة ، طلب الحزب الشيوعي من أنصاره النزول الى الشوارع من أجل الدفاع عن الديمقراطية .

لم نتحدث ...قلت لإنطونيو أن يحول المؤشر الى محطة للموسيقى ...كان انطونيو يتصرف بآلية فيما يعمل ذهنه على استيعاب الموقف ...كنت أجد نفسي غريبة تماما ، كشاهد لآيعرف عن ماذا سيتحدث ،وهو لايني يتطلع في وجوه القضاة والحضور.

بدأت موسيقى كاريبية تملأ الفضاء المحيط بنا ، نبه هذا بعض الطيور فأخذت تطلق أصواتا متباينة وخالية من أي ايقاع مشترك.

قال انطونيو – علينا ان نتابع الاخبار ...فقد نضطر للمبيت في إحدى القرى بانتظار النتائج.

قالت السيدة اوتيرو –لماذا لانتصل بأبيك
قال انطونيو –نعم ولكن حينما نصل الحدود.

عبرنا غابة الصمت والرطوبة وبدأت السماء في ضوء ظلال رخية تتمدد عبر فضاء لانهائي ...لاحت قرية معلقة على جبل منفصل عن السلسلة المتصلة

...أشاع هذا في روحي انتعاشا بأنا نعود الى الحياة والى المجتمع، رغم إنا لم نتسلق بعد الطريق الصاعد نحو القرية ...شمس في طريقها نحو الغروب نشرت شحوبا جعلت كل الموجودات تبدو وكأنها في طريقها الى العبور وراء سلسلة جبال الإنديز العابسة

استطاع انطونيو أن يقنع صاحب مقهى على الشارع أن نبيت في غرفة الإدارة بعد أن أعطاه مئتي بوليفار ....ثم قام بوضع قطعا معدنية في جهاز الهاتف ليتصل بأبيه.

كان السيد أوتيرو بإجتماع موسع لقيادة حزب العمل الديمقراطي ...قال الخادم الذي رد على الهاتف ...دقيقة سيدي انطونيو....قال السيد أرتيرو ...أين أنتم ...ارجو أن تكونوا في كركاس صباحا ....نعم كل شيء يجري لمصلحتنا ...وافق لارسبال على مغادرة فنزويلا وربما غدا سيتولى الحكم الجنرال تانكور ....نعم هو في كركاس الان في مقر قيادة الجيش ....عرضوا عليّ وزارة الصحة ولكني رفضت وأعمل على تأمين مركز مهم لك ...لا أفضّل في وزارة الدفاع ...ربما في الخارجية ...ستأتون غدا ونتحدث بكل التفاصيل ..قبلاتي للجميع.

حينما أعاد انطونيو سماعة الهاتف،كان و جهه يطفح بشرا ...قبّل رينيه وقال- لقد انتهى عهد الشيوعيين...ومن حسن الحظ إن كل شيء يجري بهدوء وسيتم كنس كل مراكز قوتهم.

لا أدري لم فكرت بكارجيا ...كيف تتدبر أمورها الان...ثم علمت فيما بعد أنها أصبحت نائب رئيس الشبيبة وعضوا فاعلا في الحزب الشيوعي وأنها تركت المستشفى لتعمل في دائرة نقليات العاصمة وتترأس أيضا نقابة النقل والمواصلات في كركاس ...بعد عزل الرئيس لاسبال أختفت لتلتحق بالحركة المسلحة للحزب في جبال الانديز .

في كركاس تحول بيتنا الى مركز للاجتماعات السرية لحزب العمل الديمقراطي ...ضايقني ذلك كثيرا ، إذ لم نعد نتمتع بخصوصية عائلية ..على الباب حراسة مستمرة ...وحينما نخرج يكون بصحبتنا حرس بلباس مدني ...اصبح رينيه عصبيا وقليل الكلام وينزوي في غرفته مع مجموعة من الالعاب بدون صحبة ممن في عمره .انطونيو يهيئ نفسه ليكون سفيرا ،وما كان يضايقني أنه يتخذ قراراته منفردا ...هو يفكر بمستقبله وليس بمستقبلنا

...قلت له أني أرفض هذا ...قال ستتعودين عليه فهو في النهاية للعائلة ...قلت ربما ولكنه لعائلة أرتيرو وليس لعائلتي.

الصباح في شهر شباط يمنح كركاس فرصة ربيعية ...تهبط الرطوبة التي تأخذ بأنفاسنا عبر أشهر الخريف ، وتهب نسائم باردة الى حد ما ، مما يتيح لي أن أتمتع بارتداء بعض الملابس التي عادة تركن في الخزانة ...أخذت كرسيا من الخيزران بمساند واسترخيت في الحوش عند أصص نبات متسلق الى الحائط مليء بورود صغيرة بلون بنفسجي ...أغمضت عيني مستمتعة بالهدوء الشامل ،عادة تدب الحركة في البيت عند العاشرة صباحا،وفي الثانية عشر يصبح البيت دائرة رسمية تضج بالمراجعين ...ثلاثة أيام لم أر فيها انطونيو ...ورينيه يخاف من الذهاب الى المدرسة ...والسيدة انطونيو عادة معتزلة في غرفتها لا تخرج الا عند الضرورة ...كانت تعبر بسلبية عن رفضها لما يجري ...كيف لي أن أعود ثانية صاحبة القرار في تحديد مستقبلي!! ...هذا النمط من الحياة لايمكن التعايش معه وحبي لانطونيو اصبح ماض ، ربما أعتز به ولكنه اليوم حلم جميل ....ماهو مستقبل رينيه في خضم هذا التداعي الصاخب للأحداث ، وهل يمكن أن أتركه لمجريات السياسة في بلد مضطرب تتكرر فيه كل يوم احداث العنف في شوراع المدن وفي المدارس ...وتتحدث الناس في امسياتهم عن الانقلاب القادم .

قررت أن أخرج الى المتنزه القريب ، وضعت على كتفي (جاكيتا) وخرجت ..عند الباب قال الحارس ..سيدتي دعيني أوقظ أحد الحراس النائمين ليرافقك...رفضت ...في المتنزه كان الهواء يحرك الزهور فتتماوج وكأنها تدرك أن الشمس الرخية تمنحها فرصة للعبث .

جلست على كرسي حجري بارد ...أمامي شجرة بوداركو بلونها الوردي الزاهي ...كانت شجرة قديمة ترتفع بتواضع حان على ضفة القناة المجاورة وتتمدد في ارتفاعها لتصنع ظلا كثيفا ....على الجذع الاملس الذي سرق المواطنون الهنود لحائه لعلاجات مختلفة ...كان سنجاب صغير يحاول أن يتسلق ...ليس في الاغصان العالية ما يمكن أن يعوضه عما في المتنزه ..كما أن هناك أشجار اقل إرتفاعا وأسهل في التسلق ، ولكنه كان يملك إرادة لا تسمح له بالتراجع ....صعد السنجاب الى غصن يرتفع فوق شجيرات صغيرة ...وخيل لي أني رأيته يبتسم وهو يرفع عنقه يتطلع بعينيه الدائريتين الى ماحوله.
كان ماء القناة باردا تدفع هبات الهواء بين حين وآخر بمويجات متسارعة على السطح ، بامتداد القناة.

حين عدت الى البيت كنت قد اتخذت قراري بمغادة فنزويلا.

قلت-انطونيو ....تعلم أني لم أزر هولندا منذ سنوات ..وفي انغماسك في العمل وانشغال الوالد اليومي ،أجدها فرصة مناسبة ، لأن أحدا لن يفتقدنا
-ولكن كيف سأفارق رينيه ، تعلمين أني لا أخرج صباحا دون أن أقبله .
ضحكت ، كان جوابا خاليا من أية مشاعر تعاطف ...هل هذا فعلا انطونيو الذي أحببت !!.
-يمكنك أن تتصل بنا كل صباح
-ومدرسته ؟
- سوف لن يطول غيابنا عن شهر وسأحرص على مراجعة المنهج معه

في الاسبوع التالي ،كنت قد أضفت رينيه الى جواز سفري الهولندي ...كان هو فرحا لأنه سيرى أماكن كل القصص التي حدثته عنها
لم تحتج السيدة ارتيرو وبدت نظراتها متفهمة لسفري.

-لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما

كانت تعرف أني لن أعود ...هذا ما فكرت به وأنا أسمعها تردد المزمور الثاني من مزامير داوود
قال انطونيو -سأحول لكما غدا خمسين الف دولار ...وهذه ستة آلاف للطريق
قلت –ولكن هذا كثير
- لابأس ...ربما تحتاجيه
هل يفكر هو أيضا إنّا لن نعود !...

قلت - لقد قطعت تذكرة ذهاب فقد لأنا قد نقطع سفرتنا
قال -.أو قد تمدديها ...من يعرف ...الأوضاع ما تزال غير مستقرة ...وبكل الأحوال إن إحتجت لشيء فلا تتردي .
-شكرا .

أوصلنا انطونيو الى المطار وقد أصرت السيدة اوتيرو على مرافقته ...كانت تختضن رينيه بحنان دون أن تحدثه ،ظل هذا الوداع الصامت مؤثرا في نفسي لسنوات طويلة.

في المطار أستقبلنا بحفاوة ،كان موظف الجوازات بالغ الأدب وهو يختم بالمغادرة، وفي الصعود الى الطائرة رافقنا انطونيو حتّى إطمئن لجلوسنا ، كما أكد على المضيفة أن تعتني بنا.

كانت رحلة متعبة استمرت اكثر من اربع عشر ساعة وقمنا بتبديل الطائرة مرتين ...وصلنا مطار سخيبول في ساعة متأخرة
من المطار قمت بالحجز في فندق متوسط السعر في ارنهم.

بدا كل شيء مألوفا لي ،وكنت أتصرف وكأني لم أغادر هولندا ولم تعصف بحياتي متغيرات لايمكن نسيانها ....في الفندق ذهب رينيه للنوم وقمت بالإستحمام أولا ثم إرتميت تعبة .....لم نصحو إلا مساء...تناولنا العشاء في الفندق ...سألني رينيه عما إذا كان لدينا عائلة عندهم أطفال ...حين أخبرته أني وحيدة هنا وهو العائلة التي أرجو أن تتمدد قطب جبينه بإحباط .

اتصلت بمليا عن طريق صديقة قديمة ...قالت انها ستحضر عصر الغد...إتصلت بكارولين التي ردت بفرح طفولي ...حسنا لقد عدت ..كم اشتاقك ...قلت لها أني جئتها بحاجياتها ..قالت ...يالله ...بعد كل هذه السنين ، ماذا سأفعل بها ...سألتني ..أسمع صوت طفل معك ...قلت نعم ..إنه رينيه إبني ..قالت كم أشتاق لرؤيته ...هل يشبه اباه ..قلت نعم ...قالت إذا سأقبله ...قلت لها ....أنك لم تتغيري .. لماذا ...أنا رئيسة الممرضات في المستشفى الجديد وزوجي مهندس معماري ..يعمل في شركة بناء كما يدير مكتبا صغيرا ....بالمناسبة لدي طفلة شقراء ولكنها جدية ...لاتحب اللعب وتعشق ألغاز الرياضيات.

قالت مالينا –هناك بعض الإجراءات التي عليك أن تنجزيها ليحصل رينيه على الجنسية الهولندية.

انجز المحامي الذي كلفته ميلينا ،كافة الاجراءات ...وتم قبول رينية في المدرسة ...واشتريت شقة صغيرة ....كنت قد وفرت بعض المال غير الذي أعطاني انطونيو ...بدأنا حياة أخرى ...هنا أشعر أني كائن فاعل .

حينما فتحت شباك غرفة النوم المطلة على الشارع ...كان الناس يسرعون الى أعمالهم أو لقضاء بعض المهام ...العمل هنا هو العجلة التي تدير الحياة ...لا مظاهرات عبثية ولا ساسة ليس لديهم إلا التامر المسلح لتحقيق مصالحهم .

كانت المهة الأولى بعد قيد رينيه في المدرسة هي أن يتعود على قيادة دراجته الهوائية في الذهاب والعودة لمدرسته وفق ضوابط السير في هولندا ... لإسبوع كنت أرافقه ،ليتعلم ..ولكنه لم يعتد شتاء هولندا ولا ارتداء الملابس الثقيلة.
مهمتي الثانية كانت أن أختار عملا ولكن بعيدا عن ا لمستشفى ....
قالت كارولين -لدينا صديق يملك معملا صغير لمستحضرات التجميل وهو بحاجة الى شريك في رأس المال والعمل ...ودراستنا لمادة التركيبات الكيماوية ستساعدك ...فهل لديك المال ..
.قلت- كم يلزمني ..
.قالت -من عشرين الى ثلاثين الف دولار ...قلت لها رتبي لي موعدا.

اتصل انطونيو ، قال له رينيه أنه سعيد بالمدرسة وبرفقته ولكن البرد اللعين يضايقه ...قال انطونيو ...ستتعود على ذلك....حين أخذت سماعة الهاتف كان يقدم نصائح لرينيه ...قلت له ...هل انتهى تعيينك في الخارجية ...قال اللجنة المختصة وافقت والكتاب في مكتب الوزير ...وكيف هي السيدة ارتيرو ...قال بحسرة ...كما هي .
مرة أخرى شعرت بخيبة أمل فهو لم يسأل عما إذا كنت أفتقده ....كما إنه لم يعبّر عن أية عاطفة ايجابية ...فكرت إنا الان مجرد معارف لديهم ذكريات مشتركة، عرفت ماذا يعني أن تكون المرأة مهملة أو يتم تجاهلها عن عمد ....رغم إني من اتخذ قرار الابتعاد أو القطيعة بعبارة أصدق ، إلا أن هذا لايبرر لإنطونيو أن يتجاهل تاريخا مشتركا ..

خرجت الى الشارع الذي كانت ريح باردة تتحرك ببطئ على امتداده ...إن عليّ أن أفكر بموضوعية فالتفكير بتحميل انطونيو مسؤولية ما ، ليس منطقيا و علي أن أنشغل برينيه وبعملي ...
حين عدت كان رينيه قد أنهى واجباته وجلس أمام التلفاز يتابع فيلما كارتونيا..كان يضحك بطفولة لمقالب الفأر الصغير مع القط ....

حين قابلت صاحب معمل مستحضرات التجميل وجدت أنه يعرف عمله جيدا ولديه حسابات دقيقة عن توجهات الطلب ، ولكني شعرت أيضا أنه على شيئ و من الحيلة ، وطريقة عرضه والأحاديث التي تبادلناها ونحن نشرب القهوة في بيت كارولين أكدت هواجسي.
أنصت زوج كارولين لملاحظاتي وقال – معك الحق ..لم يكن أمر عمله يعنيني ،لذا لم أدقق في طروحاته...ماذا تقترحين
- سأعمل معه ...المشروع مغر وهو يتناسب ومؤهلاتي العلمية أما التجارية فسأتعلمها بالممارسة ....هل تعرف محام لديه خبرة بالعقود التجارية ؟

- نعم ...وهو الذي يتولى قضايا مكتبي
- حسنا أود أن أتعاقد معه ، ليعد عقد المشاركة ويمثلني في قضايا العمل
- أنت مدهشة سيدة داني ...وحديث كارولين عنك لم يجانب الحقيقة

العمل يعكس سماته على المشتغلين به ...هذا ما قالته كارولين ...أنت تمثلين سيدة أعمال ناجحة وصارمة ...تابعت ...ستة أشهر غيرتك تماما ...هل يمكن أن أعمل معكم

- لا...العمل يفسد الصداقة ...يمكن ان أمنحك خصما على مشترياتك حتى 50%
- وعد
- بالتأكيد
- شكرا ...سأقترح على الممرضات زيارة معملكم
- أفضل زيارة المعرض ...وأتعهد بفنجان قهوة وقطعة كاتوه
- جميل ...السبت القادم

لقد تعلمت الكثير عن الإقتصاد وتوجهات الطلب وأساليب التسويق وحوافز البيع ، وبإنتهاء السنة الأولى كان لنا عددا من الفروع غطت معظم هولندا وتم توسيع المعمل الى الضعفين ...وأصبح مركز البيع الرئيس لا تتوقف الحركة فيه

قال المحامي وهو رجل يملك خبرة واسعة ...إن بدايتكم هي الخطوة الموفقة فهولندا تدخل مرحلة نمو متميزة ...حين طلبت منه أن يشرح ما يعنية ، قال...بإيجاز إن المرحلة الحالية هي تصاعد في الدخول ونمو عال في الطلب.

كنت أ شعرت بأني بدأت أجد نفسي ، في الحب كنت أغرق في رؤى أقرب الى التهويمات الغيبية ....رغم إنها كانت تهويمات لذيذة تتعرض لمشاعري كأنثى، أما اليوم فإنها تتعلق بمشاعري المتعلقة بطموحي والرغبة في تحقيق نجاحات عملية وملموسة ....

بدأ رينيه أكثر انسجاما مع واقعه ،وكانت نتائجه الدراسية فوق تطلعاتي ،فقد حقق معدلات عالية ....قال بأنه يرغب في دراسة طب الاسنان ...ولكنه يرغب اولا وقبل الذهاب الى الجامعة أن يرى أبيه...فترة طويلة مرت لم نتحدث عن فنزويلا ...قال يشعر باشتياق الى جدته ....

حين اتصلت بانطونيو قال بانهم أعادوه الى وزارة الخارجية بعد أن قضى مدة خدمته سفيرا لفنزويلا في البرازيل ...وهو يجد في وظيفته الان مجالا للإستجمام فلا يوجد الكثير من العمل ...السيد والسيدة اوتيرو عادا الى مارغريتا وهما يقضيان شيخوخة هادئة ....

طلبت منه أن يسهل حصول رينيه على تأشيرة الدخول لأنه يرغب في زيارتهم ...شعرت أنه مأخوذ بالخبر ...قال حسنا ...ليراجع السفارة الاسبوع القادم ...وستصلكم تذكرة سفره ...صمت لحظة ثم تابع ...داني ألا تفكرين بالحضور ...قلت لا ...لدي الكثير من العمل هنا ...قال ...لقد كتب لي رينيه عن نجاحك ..أتمنى لك كل خير .

تداعت الى ذهني كل الذكريات الجميلة ..انطونيو بكل عنفوانه الرجولي ومشاعره الرقيقة ...ولكني سرعان ما عدت الى خطط زيادة الانتاج وتوسع المبيعات ...التحول الذي طرأ على شخصيتي كان عميقا .

الفصل العاشر

الأكتئاب هو الظل الساقط في الماء

غاستون باشيلار

قالت داني إنها مترددة في أن تتحدث عن تفاصيل حكايتها اللاحقة ، لا لأنها لاتثق بي ولكن لأنها تعتقد إنها شديدة الخصوصية وتتعرض لانفعلاتها النفسية، والحديث عنها يسبب لها بعض التوتر
قلت – يمكن أن نؤجل الحديث ...ماذا تودين أن تشربي
- بيرة
طلبت من النادل أن يحضر قنينة بيرة للسيدة ، وحليب بالشوكولاته ساخن لي،قالت ..أمستل رجاء
تشاغلت بالنظر الى الشارع الذي يكتظ بالمتسوقين فقد كان اليوم للشراء المسائي وهو ما يعني إن المحلات تظل فاتحة حتى التاسعة مساء ،خلافا للأيام الأخري التي يفترض أن تغلق أبوابها في الخامسة مساء

قالت داني – بعد أن دخل رينيه الى صالة المسافرين بقيت في المطار حتي أعلن عن مغادرة طائرته...في طريق العودة من مطار سخيبول أشعر بانقباض، كانت وطأته تشتد كلما تقدمت في طريق عودتي ...كيف سأعود للبيت ورينيه غير موجود ...وكيف سأصحو صباحا ،هذا إذا إستطعت أن أغفو ، ولا أسمع صوته ،أو أعدّ له فطوره وأتأكد أنه قد حضّر كل الكتب التي عليه أن يأخذها ..كان رينيه يشغل كل فضاء روحي ولكني لم أكن منتبهة لذلك....بدا المساء بأضواء المصابيح المتباعدة ،حزينا ...وفي قلبي تترسب مشاعر مثقلة بأسى عميق وثقيل ....قفزت فكرة مجنونة ...حسنا ..ماذا لو أقنعوه بالبقاء في فنزويلا ...أصابتني الفكرة بقنوط متخاذل ، لأني لا أستطيع أن أقدم حلّا يمكن تنفيذه ...فأنا لا يمكن أن أقابل انطونيو ....الحياة القديمة لا تعيدها لقاءات عابرة ...حاولت أ ن أقنع نفسي ....على الطريق السريع ، كان شرطيا يرفع عصا مضيئة يطلب مني التوقف .... أن أنفخ في جهازقياس الكحول ...قال سيدتي ..هل تعانين من مشكلة ؟ أدركت أن قيادتي كانت غير متوازنة .؟..
قلت -نعم ...غادرني إبني الى أبيه في فنزويلا ....
قال- يؤسفني أنه تسبب في إيلامك ...يمكن أن تستريحي في كافتريا محطة الوقود أمامك ...تناولي بعض القهوة فقد تساعدك....

لم أضيئ الشقة ..شعرت بأن الظلمة أكثر ملائمة ..
قال رينيه ، إنه يتصل بي من المطار ليطمئن عليّ وهو بانتظار أبيه ...تمالكت نفسي وبدأت بنصحه بأن يهتم بنفسه ...ولكني سرعان ما أدركت كم هي مضجرة نصائح الكبار ...
قلت له - رينيه تمتع بوقتك ...أحبك ..

قال- وأنا ماما.

كنت أحصي الايام بساعاتها ، وأحاول أن أغرق في العمل ..أراجع الحسابات اليومية وأتابع حركة البيع في المركز الرئيس على شاشة التلفاز في مكتبي وأقوم بزيارات مفاجئة لمراكز البيع في المدن القريبة وأعقد لقاءات مع بعض الوكلاء...حينما أعود للمنزل ، أكون مرهقة تماما ...وبعد دوش ساخن أشعر بالنعاس...
قالت كارولين- لماذا لاتذهب الى الساحل ...البحر يخفف كثيرا من المعاناة ...إستلقي فقط وهو يحملك دونما جهد ...
أنا أحب البحر فمنظر الماء بإمتداده اللامتناه يمنحني القدرة على التركيز ..العودة الى ذاتي ورؤية داخلي ... في البحر أغمض عيني وأحلم كما في القصص الرومانسية ، و تعمل بصيرتي بإضاءة كافية لرؤية كل شيء

قالت البائعة الشابة التي أسمح لها بالدخول الى مكتبي –سيدتي ،هناك فتاة تود مقابلتك
-لماذا
-لم أسألها ..يبدو أنها محترمة وجادة
ابتسمت من الوصف –حسنا دعيها تدخل.

دخلت فتاة طويلة ممشوقة ،سمرة وجهها مشربة بحمرة طبيعية خفيفة ، شعرها الأسود يتدلى تحت الكتفين ...لم تكن تبتسم ولكن شيئا ما كان يضيء وجهها فيما تلتمع عيناها ببريق صاف ...شملت الغرفة بنظرة سريعة قبل أن تقدم نفسها
-انجيمار أرنيليس
-أهلا ...هل من خدمة
ابتسمت –ليس بالضبط
-هلا جلست
وضعت حقيبتها على حافة الطاولة
-سأغادر الى كركاس نهاية الاسبوع
- ثم
- أسفة ..لم أكن واضحة ...أنا ابنة السفير الفنزويلي في لاهاي ..منذ فترة تعرفت على رينيه
فجأة شعرت بأني معنية بهذا الحديث ، اعتدلت في جلستي وتفتحت كل نوافذ التلقي في ذهني ...الموضوع له علاقة برينيه !

تابعت –أعرف إنه في كركاس منذ أسبوعين فقد ودعني على الهاتف ...لبعض المهام سيسافر أبي الى العاصمة وقررت أن أكون معه فأنا مشتاقة الى البلد،ولم أشأ أن أكلمك على الهاتف فقررت أن أحضر بنفسي ...ربما لديك ما تودين أن يصل الى رينيه ...لقد حدثني عنك رينيه كثيرا فهو يجدك واحدة من ابرز سيدات هولندا ، ولهذا وجدت انها فرصة مناسبة للتعرف عليك ..أرجو ألا أكون قد سببت لك إزعاجا
-لا ...بالتأكيد لآ...يسرني أن أتعرف على صديقة رينيه .

طلبت منها أن تبقى معي على الغداء ...كنت أرغب أن أتعرف عليها ، ربما بدافع أم تود معرفة توجهات ولدها ...كانت لطيفة ومؤدبة وعلى درجة من الثقافة تجعلها زوجة مثالية...قالت إنها تعرفت على رينيه عبر برنامج مدرسي لمنافسات الطلبة الثقافية ،منذ عام وانهما تقاسما الجائزة الاولى في هولندا،

شعرت بتقصيري ...كيف لم أعرف وكيف لم يحدثني هو ...أية أسرار أخرى يخفيها رينيه عني ؟...وما عذري أني رغم كل الحب له ، لا أعرف عنه شيئا .

- شكرا عزيزتي أنجيمار، لقد كنت سعيدة بلقائك
- أنا سعيدة جدا بأني تعرفت على سيدة ناجحة وأم عظيمة
شعرت بشيء من الانقباض فأنا وعلى ضوء ما إكتشفته لم أكن أما ناجحة فكيف أكون عظيمة !
شكرتها وأنا أوصلها لموقف سيارتها بعد أن اشتريت لرينيه علبة من الحلويات البلجيكية التي يحبها ؟

قلت لكارولين –هل سنذهب السبت الى الشاطئ؟
قالت –سأكون عندك الساعة الواحدة ..بالمناسبة لدينا صديق من البرتغال ممن يتعاملون مع زوجي في العقارات ...فهل تمانعين ؟
قلت-لا ...الرفقة دائما جميلة .

فكرت أن العودة للحياة الاجتماعية ربما ستساعدني في عبور هذه المرحلة ...ابني في الثامنة عشر ..وانا أتخطى الاربعين تشغلني عن نفسي أعمال تنمو على نحو مضطرد ...رصيدي في البنك يزداد وعمري في العد العكسي ينقص، وصورة المرأة الجميلة بدأت حافاتها بالذبول والابتسامة المشرقة تحولت الى نظرة عابسة وصارمة على استعداد للمحاسبة والتوبيخ ...في داخلي خواء يتقصف كقصبة وحيدة وجافة تضربها ريح بأحجار الطريق.

تمددت على الرمل الدافئ ، قالت كارولين ما زلت فاتنة ...أنا لا أستطيع أن أرتدي البكيني كأيام زمان ...زوائد تتدافع الى الخارج ويصبح منظري مضحكا، صدقيني أنا لاأشعر بالأسف فقد أخذت نصيبي من الحياة ..أما أنت فما تزالين يانعة ...ضحكت وغمزت بعينها، وقالت .. ومشتهاة ...لم أرد عليها ، ربما في حديثها جانبا أقرب الى الحقيقة ...ولكني غير مستعدة للذهاب معها بعيدا في مثل هذا الحديث.

كنا قد سبقنا الرجلين اللذين قالا أنهما مرتبطان بموعد ولن يتأخرا أكثر من نصف ساعة .

كان البرتغالي بيدرو فرناندس ، مهندس معماري ،وهو في الخمسين ولكنه ما يزال يحتفظ بجاذبية ذكورية على وجه الخصوص ، تتلخص في طوله الرياضي وذقنه المدور وشفتيه المكتنزتين
قالت كارولين – أقدم لك واحدة من أعز صديقاتي ...سيدة أعمال ناجحة
قال وهو يشد على يدي-لابد أن تكون ناجحة !
ضحكت كارولين – ليس من المناسب أن تبدأ مبكرا
-البداية دائما بتوقيت ظروفها ...ولكن السيدة داني غيرت هذه القاعدة بكل هذا الحضور الطاغي

حضرا في الموعد المحدد .كانا فرحين ويبدو انهما توصلا الى صفقة جيدة من لقائهما مع الضيف
-يبدو أنك فأل خير ...قال بيدرو ...وبالتأكيد هي بداية ناجحة
-الأعمال لا علاقة لها بالفأل ...إنها جهد ودراسة
-نعم ...ولكن بعض الوجوه تبعث على التفاؤل...وإذا سار كل شيء على هذا الطريق فأنا أقدم لكم ضيافة شاملة في لشبونة لإسبوع كامل.

حين نزلنا الى البحر حاول بيدرو أن يكون على مقربة مني فاندفعت الى عرض البحر ووجدت أنه لايغامر باللحاق بي ...تذكرت أخيل في الإلياذة ...حسنا ياسيد بيدرو يمكنني الان إدارة اللعبة .

إعتذرت كارولين وزوجها بأنهما مضطران للمغادرة ...قالت كارولين ..داني إعملي معروفا وخذي السيد بيدرو الى فندقه فهو على طريقك....قلت في سري، حسنا ياكارولين ...أنت تتخابثين معي
قال بيدرو – هل لديك مواعيد الليلة
- لا ولكن لماذا

- في الفندق حفل موسيقي حيث انهم يستضيفون لويس أرمسترونغ
- ولكن علي أن أغير ملابسي
- حسنا سأكون بانتظارك

مرة أخرى تحفر لي الصدفة مجرى جديدا لمسار حياتي...كان الحفل ساحرا وكان بيدرو ممتعا ...قضينا الليلة في جناحه ...وفي الصباح ، كنا نتحدث عن معدل نمو الاقتصاد الهولندي وآفاق المستقبل

كنت في مركز البيع حين أتصل رينيه ..قال بأنه يشكرني على علبة الحلويات البلجيكية التي استولى عليها الدكتور ارتيرو وجدتي ...لم يتناول منها أبي شيئا فهو يعاني من ارتفاع السكر لديه...قلت له لقد تركت انجيما ر إنطباعا ايجابيا عندي ..ضحك وهو يقول – ماما ادخلي في الموضوع مباشرة ....هي مجرد زميلة ووالدي ووالدها على معرفة منذ زمن حينما رشحا للعمل كسفراء ودخلا دورة تأهيلية

-متى ستعود ؟

-لقد ثبت الحجز الخميس القادم ....الامور هنا بدأت ثانية بالتصعيد...رغم التحسن في الاقتصاد والقضاء على الرانشوا ببناء وحدات سكنية حديثة ...شركات النفط الامريكية قضت على البطالة ولكن الناس يرغبون بالقفز الى الثروة

-رينيه لاتتحدث مثل أبيك ...لقد تعب الناس من الفساد والسرقة ...على أية حال ، إعتن بنفسك ...ولا تتواجد كثيرا في الشوارع

- حسنا ما ما ...أراك الخميس في سخيبول

قال رينيه ونحن في الطريق الى البيت ،كانت سفرة رائعة ...رأيت غابات الامزون وجبال الانديز وزرت مارغريتا ...كما أن جدي رتب لي لقاء مع الدكتور خوزيه سالاوار وهو استاذ في كلية طب الأسنان ....كان غريبا بعض الشيء فهو يخلط على نحو عجيب بين الجد والهزل بحيث أتوه في تفاصيل حديثه ...أخذني معه لثلاثة أيام لمشاهدة الطلبة المتدربين وهم يصارعون المراجعين لقلع اسنانهم ...وقدم لي شرحا مفيدا ...قال بان الدراسة هي سنوات ستمر وستحصل على الشهادة التي تتيح لك بشكل قانوني أن تستخدم كل الأدوات اللازمة لمهاجمة فك المريض المسكين .....عليك أن تكون قويا وحازما.....وعرض علي أن يسهل حصولي على موقع في الدراسات العليا مجانا إذا أنهيت البكالوريوس

رغم أنه حديث عابر ،ولكنه أثار مخاوفي ...هل عملت كل شيئ لرينيه ثم يستقر في فنزويلا بعيدا عني ؟ لن أسمح بهذا

-ماذا .....قال رينيه

-لا شيء ...كنت أفكر بصوت عال.

في مسار المرحلة الجديدة من حياتي أتصرف وفق احتياجاتي لا وفق مشاعري ...ولهذا حرصت أن اسافر الى لشبونة مرتين او ثلاث مرات في السنة ،أقضي اسبوعا في فضاءات ليس لها حدود ، كنا كريشتين ترفعهما موجات من نسيم خفيف ...وكان ارماندو حريصا على أن يوفر لي كل المتع الصغيرة التي تتحكم بها تلك الاحتياجات
عملي كان يتوسع باستمرار وشريكي ترك لي حرية التصرف بعد أن تعرف على محطات النجاح التي عبرتها مؤسستنا الصناعية .

تعبرنا السنوات دون أن تتوقف ،ولم أحصي أيامي ، كان كل ما أتوقف عنده ،حفلات رأس السنة الصاخبة ، وأقوم بتأشير السنة الجديدة
رينيه متفوق في دراسته ...أنهى السنوات الخمس وبدأ يبحث عن عيادة خاصة ، قررأن يعمل في لآهاي ...كانت انجيمار تزورنا ، وفي كل زيارة كانت علاقتهما تتوطد
-ماما ...سأتزوج من انجيمار

لقد أصبح بقائي وحيدة في أرنهم واقع حال علي أن أتعايش معه ،شعرت بالفراغ وأنا أنظر في داخلي ...العمل رغم مشاغله التي لاتنتهي ليس البديل الكافي ..
.قالت كارولين ...أنت وحيدة ، لماذا لا تتزوجين؟

تذكرت أني وأنطونيو لم نتطلق
- انطونيو أنا داني
- آه ...هلو داني ...هل من مكروه لرينيه
- لا..ولكني أفكر أن نتطلق رسميا
- هل ستتزوجين
ضحكت ...كان تساؤله عفويا
- ولكن هذا هو الوضع الطبيعي كما أعتقد
- تذكري أني كاثوليكي
- ولكني لست كاثوليكية
- هذا لايغير من الوضع القانوني...ولكن لابأس ما دامت هذه رغبتك...المحامي سيرتب الموضوع ...هل من شيء آخر؟
- لا ...انطونيو شكرا
لم يعلق رينيه حينما أخبرته ...قال بأنه يفكر بالعيش في فنزويلا ...العمل في هولندا غير مجز والضرائب مرعبة ....ثم أن الجميع ينظر لي على أني أجنبي بشعري الأسود والسمرة الخفيفة .....كما أن انجيمار حامل وترغب أن تنجب بين أهلها

...كان رينيه في لاهاي ...نعم هو بعيد عني ، ولكني أحس بأنه الجذر الذي يمتد بعيدا عن الشجرة ، أما في فنزويلا !! هناك شجرة أخرى ...كنت أدرك أنه اتخذ قرارا وربما هيئ له حتى في فنزويلا

قال انطونيو بلهجة فيها شيء من العتاب أو اللوم –لقد اشتريت لرينية بيتا في ذات الشارع الذي كنا فيه ، أما العيادة ففي الشارع المقابل للجامعة ...أنت الوحيدة البعيدة.

قال رينيه –إنه انضم الى الحزب الديمقراطي المسيحي ، وهو عضو في إدارة حملة الدكتور لويس هيريرا ...

لم يوافق والده على انتقاله الى الحزب المنافس ولكن رينيه يقول ان الدكتور هيريرا هو الملائم لقيادة فنزويلا ..إنه يحمل افكارا تنويرية وأن حزب العمل الديمقراطي لم يعد يواكب التحولات الثقافية والفكرية في العالم .

حين فاز هيريرا ، كان رينيه يتحدث بسعادة غامرة ....السيرة تتجدد ولكن وفق مقتضيات التطور ...من السيد اوتيرو الى انطونيو وأخيرا رينيه ...الهم السياسي في فنزويلا يشغل بال الجميع ....كارجيا من الرانشو ورينيه من النخب المثقفة والارستقراطية ، الجميع يفكر بفنزويلا ،ولكن لكل طريقته في العمل ....أما أنا فأفكر بحياتي الشخصية ...بالسفر عبر العالم وبصداقات عابرة ،وبعواطف تظل في السطح ،لاتستقر في قلبي .... ولكني لم أتوقف لأتساءل ...كيف سيكون شكل الغد في هولندا ....اقنعت نفسي بأنّا في اوربا نعمل وفق مخططات علمية ....ولكن ما هي هذه المخططات ....؟

قال رينيه أن الجدة اوتيرو قد توفيت وهي تصلي في كنيسة مارغريتا ، وأنها كانت قد اوصت بما تملك للكنيسة الكاثوليكية ....اما الجد فقد اعتكف في بيته في مارغريتا وهو يكتب مذكراته...من جانبي لاأعتقد أن أحدا سيهتم بها ...إنه يكتب عن عهود لم تكن قريبة من قلوب الفنزويليين ...قرأت بعضها ..إنه يقدم تبريرا لكل ماحصل ...الإسبوع الماضي جاءنا خوسيه ...يقول الجد اوتيرو إنه يشبهك وهو ليس قريبا من آل أوتيرو ...إنه هولندي في فنزويلا ...لقد اسعدني ذلك فأنا الان الجدة داني ...هل أراجع نفسي ...ضحكت من هذه الفكرة ، ماهي الفائدة من غربلة مشاعري والوقوف عند بعضها وتجاوز البعض الآخر ....ماذا سيقدم هذا الاجراء ..لقد أصبحت مشاعري فاترة منذ سنوات والآن هي باردة تماما ...حتى أن ما كنت أسميه (إحتياجاتي)لم يعد يلوح في فضاء مشاعري...
صمتت داني وهي تتطلع الى حركة السفن في النهر المتدفق حيوية ...

قالت –غدا سيحضر حفيدي خوسيه...
-كم سيبقى معك ؟
-لقد قرر أن يعيش هنا في هولندا !
- ودراسته؟
-تم ترتيب كل شيء ...سيلتحق بالمدرسة في أرنهم ...قال إنه يشعر بأنه ينتمي اليّ والى هولندا ...في البداية لم أصدق ذلك، رغم إنه أسعدني الى حد شعرت بسعادة غامرة...ولكنه أفهمني أنه جاد وإنه يدرك تماما أبعاد خطوته
-فعلا إنها مفارقة ...رينيه ينتمي الى فنزويلا وخوسيه ينتمي الى هولندا
قالت داني – إن هذا يضع حدا لكل عذابات الوحدة التي أعيشها ...إنها حياة جديدة.!!